الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: (أدب جزائري)

الأنـــــا والآخـــــر

في رواية سلالم ترولار لسمير قسيمي

مقدمة من قبل:

الطالبة: سلمى عقون

الطالبة: نهاد نعامنية

تاريخ المناقشة: 2022/06/14

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
ليلى زغدودي	أستاذ مساعد "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
علي طرش	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
بشرى الشمالي	أستاذ مساعد "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022/2021

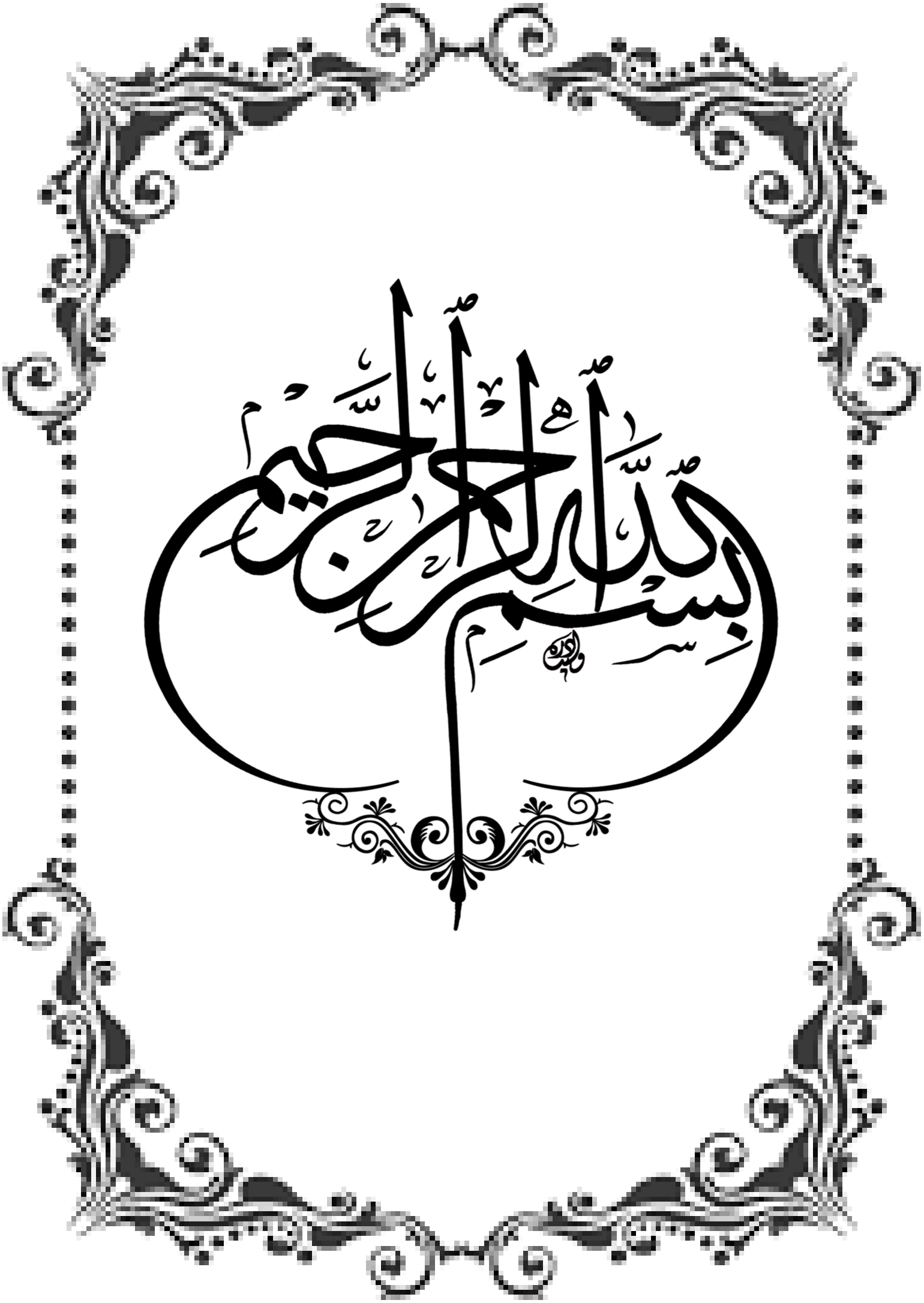
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله العلي القدير على نعمه الظاهرة والباطنة وما منحنا من صبر وقوة لإتمام هذا البحث.

اعترافا بالفضل وتقديرا للجميل، لا يسعنا بعد أن انتهينا من إعداد هذا البحث إلا أن نتوجه بجزيل شكرنا إلى أستاذنا المشرف الدكتور: "علي طرش" لقبوله الإشراف على هذا العمل، وعلى توجيهاته ومساعدته القيمة التي أفادتنا كثيرا في إثراء معارفنا العلمية.

كما نتوجه بخالص الشكر إلى أساتذتنا بالكلية وإلى اللجنة المناقشة والشكر كذلك إلى كل من ساعدنا في هذا البحث من قريب أو من بعيد

والحمد لله الذي تمت بنعمته الصالحات

الإهداء

الحمد والشّكر والثناء لخالق الأرض والسّماء ومن وهبني العقل والذكاء أما بعد:

أهدي هذا العمل إلى"أمي الغالية"

وإلى خير الرّجال "أبي الفاضل" أطال الله عمره

إلى دعامتي في الحياة إخوتي: محمد، رفيق، رحمة.

إلى زوجي ورفيق دربي: زاكي

إلى من شاركني في إنجاز هذا العمل وتشرفت بصحبتها وتقاسمت حلاوة ومرارة هذا البحث معها: نهاد

إلى كلّ من رافقني في مشواري الدراسي، وكلّ من مد لي يد العون في إنجاز هذا العمل من بعيد أو من قريب

سلـــمى

الإهداء

ما أجمل أن يجود المرء بأغلى ما لديه والأجمل أن يهدي الغالي للأغلى ثمرة جهدي أجنيها اليوم أهديها إلى روح جدي الطاهرة أهدي ثمرة هذا المجهود إليك أيتها الروح الطاهرة التي ضاعت وما حصدت وغرست وما جنيت "جدي" ليت الموت تخطاك وليت البأس إذ قصدك وقع عليا.

إلى فيض المحبة والحنان إلى من كانت أول اسم نطق به اللسان وأحس بها الوجدان وأطلقت لي العنان في ما يرضى الرحمن وأحاطتني بالأمان فلم أنسى لها هذا العرفان ليتني غسلت بدموعي الوفا قدميك وليتني حملت في مهرجان الحياة نعليك خالتي رحمها الله

إلى ما تحت أقدامها جنتي إلى من حملتني في بطنها وسقتني من صدرها واسكنتني قلبها فغمرتني بحبها أمي الغالية حفظ الله

إلى سندي في هذه الحياة وعوني وقدوتي ومصدر فخري الذي جعل من نفسه شمعة لينير دربي والدي العزيز

إلى رفيق الدرب وصديق الأيام جميعا بحلوها ومرها زوجي الغالي

إلى الذين ظفرت بهم هدية الاقدار إخوة فعرفوا معنى الأخوة

إخوتي الأحباء وأخواتي العزيزات

إلى كل الأصدقاء الذين صنعتهم لي ايام الدراسة

إلى من نسيه قلمي وحفظه القلب

نهـــــاد

المقدمـــــة

جدلية الأنا والآخر، علاقة صراع منذ الأزل، فهي تعّد من أهم الثنائيات التي احتلت مكانة هامة في الفكر العربي الحديث، ذلك للعلاقة القائمة بين العالم العربي الذي يطلق عليه الشرق، والجزء الآخر الذي يمثله الأوروبي والذي يصطلح عليه الغرب، فكل منهما يسعى جاهدا لإدراك الآخر، وفهمه ذاته وسعيه لاكتشافها، بقدر ما استطاع الغرب الاطلاع على حضارة الشرق كان للشرق الحظ الاوفر من اكتشاف الحضارة الغربية فتعددت بذلك الأشكال وتنوعت، وذلك باختلاف الزمان والمكان.

وقد استطاعت الرواية العربية، باعتبارها فن الأخر، أن تعالج العلاقة القائمة بين الأنا والآخر، إذ أتاحت الفرصة لصوت الأنا للتعبير عن ما يختلج في الأعماق من أفكار وآلام تنطلق من نقد الذات والآخر معا.

والرواية الجزائرية هي الأخرى تمكّنت من تجسيد هذه الثنائية في قوالب مختلفة كلّ حسب منظوره لها. وقد اخترنا من الروّايات الجزائرية رواية "سلالم ترولار" وهي من أهمّ إبداعات الروائي "سمير قسيمي"، التّي جسد من خلالا تاريخ الجزائر السّياسي بصفة خاصّة والعربّي بصفة عامّة، بأسلوب ساخر ليتجاوز بذلك متعة القراءة الى شعور بالألم والحزن، وإدراكه حقيقة ما مّرت به الجزائر بعد الاستقلال ومن الأسباب التّي دفعتنا لاختيار هذا هي:

الدوافع الذاتية: إعجابنا بإبداعات سمير قسيمي باعتباره من أكثر الكتاب الجزائريين نجاحا وخدمة للأدب الجزائري.

الدوافع الموضوعية:

التعرف على ثنائية الأنا والآخر ومعرفة كيف استطاع "سمير قسيمي" تجسيدها في عمله الروائي. والغوص في الرّواية باعتبارها تحاكي الواقع المعاش في الجزائر.

ولأنه لكل دراسة منهج تسير عليه فإننا من خلال هذه الدراسة قد اعتمدنا على المنهج السّميائي في دراسة الغلاف.

ولتحقيق الهدف الذي ترمي إليه الدراسة كان لا بد من طرح التساؤل التالي:

كيف تجلت صورة الأنا والآخر في الرّواية؟

وللإجابة على هذا التساؤل وضعنا خطة مكونة من مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، أما الفصل الاول فكان نظريا تناولنا فيه بعض المصطلحات الأساسية لـ "الأنا والآخر" وقد كانت لنا إطلالة على العلاقة بينهما حيث تمثلت في علاقات مختلفة تصادم، وصراع، وإعجاب. كما تطرقنا أيضا لمواقف الأنا اتجاه الآخر.

أما الفصل الثاني فكان إجرائيا موسوما بالأنا والآخر في رواية "سلالم ترولار" وقد تتبعنا فيه الثنائية (الأنا والآخر) من خلال الغلاف الخارجي للرّواية أولا، ثم انتقلنا إلى المتن ومن خلاله كانت للأنا والآخر العديد من الصور منها: صورة الأنا المتنكرة والأنا المتعالية، والآخر المضطهد، ثم تشكلت الأنا والآخر عبر أماكن مختلفة.

كما تطرقنا أيضا إلى الصورة الجسدية للذات العربية، وكذلك صورة التناقض بين الأنا العربية والآخر الغربي، وبعدها صورة الهوية، وعليه استخرجنا العلاقة القائمة بين الأنا والآخر في الرواية، ثم مواقف الأنا اتجاه الآخر، والتي ارتكزت على الرؤية الحقوقية والسياسية والرؤية الحضارية.

وأما في ما يخص أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث والتي شكلت زاد بحثنا على رأسها المصدر الأول: رواية "سلالم ترولار" للروائي "سمير قسيمي"، والمراجع التالية:

- صورة الآخر في الشعر العربي: سعد فهد الذويخ.
- نحن والآخر: محمد راتب الحلاق.
- صورة الآخر: العربي الطاهر لبيب.
- صورة جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي: جميل حمداوي. وغيرها من المراجع.

أما الصعوبات التي اعترضت طريقنا هي قلة المصادر والمراجع التي تعالج هذا الموضوع.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر وخالص الامتنان للدكتور "علي طرش" الذي أشرف على هذا العمل، وهذه الدراسة هي ما قدرنا الله على تقديمه فإن أصبنا فلك الحمد من قبل ومن بعد، وإن أخفقنا فمن أنفسنا.

والله ولي التوفيق

مدخل: الهوية

الهوية.

1. الهوية العربية.
2. الهوية والثقافة.

الهوية:

الهوية مصطلح يختلف بشأنها في البحث الأدبي الراهن فإيفانيتش Ivanic يشير على أنّه من الرغم من أنّ الهوية هي الكلمة الذي ترمز إلى معنى ماهية النّاس، فإنّ مشكلتها لا تحمل تضمينات بشكل أوتوماتيكي[1]، فالفرد له خصال تخضع لمنطق الجماعة التي ينتسب إليها، وهذه الخصال هي من تجعله مميزا عنها، وبهذا يمكن التمييز بين البشرية من خلال ما يجمع بين أفرادها من ميزات مشتركة، وخاصة أن التطور والعلم أصبحوا نظام جديد يسيطر على جميع مجالات الحياة، ويجعل العالم قرية صغيرة إلى درجة زوال جميع الهويات والخصوصيات، التي تحددها مجموعة من (المشاركات، والقواعد، والمبادئ، والكليات، والمنطلقات) وهذه الميزات تسري وتنبض في دمها وعروقها، لكن في حقيقة الأمر أن هذا النظام الجديد هو استبداد حضارة مهيمنة أي حضارة غربية، وفي نفس الوقت هي إلزام الشعوب والأمم، عن التخلي وترك ثقافتها، وحضارتها وهويتها باعتبارهم مشركات دونسية، "وعليه يوجد مظهران أساسيان لهوية شخص ما، أولهما اسمه الذي يميزه عن غيره من النّاس، وثانيهما ذلك الشيء غير الملموسّ والأكثر تعقيدا وعمقا الذي يشكل في الحقيقة ماهية المرء"[2].

فالجماعة تفرض منطقها على الفرد، وإلاّ في حال تمرده فإنها تلفضه بعيدا عنها، أو تعزله عقابا له على ما اقترفه في حقها.

1. الهوية العربية:

الإنسان دائما في بحث المستمر ودائم عن ذاته، أو خصوصيته "نتيجة ما يعانيه من شعور حاد بفقدان الهوية، بعد تضليله عمدا في أغلب الأحيان عن خصوصية ناجمة عن خصوصية الواقع الذي تعامل معه"[3].

(1) جون جوزيف، اللغة والهوية (قومية، إثنية، دينية)، ترجمة عبد النور خرافي، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، العدد 342، 2007، ص14.

(2) المرجع نفسه، ص 05.

(3) محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997، ص47.

أي أنّ الهوية العربية موجودة لكنّها ضائعة بفعل عدة أزمات وإنكسارات ومنعطفات، تاريخية حاسمة يجب البحث عنها لاسترجاعها، فهوية الأنا العربي تظهر من خلال وعيه بالآخر الغربي، والإحساس بوجوده المختلف والمتباين والهوية هي الأصل والجوهر فالهوية هي الإجابة عن السؤال (مَنْ هُوَ؟)، أي التساؤل عن حقيقة الشيء، ومن هنا فهوية الشيء هي ثوابته التّي تتجدد ولا تتغير، وتفصح عن ذاتها ما بقيت الذات على قيد الحياة.

وهي خصوصية الذّات الثابتة، الأصلية التي تتجدد لكنّها لا تتغير. فالهوية العربية تبرز من خلال الآخر وحضوره والتعايش معه لأنّ إدراكه ووعيه يؤدي مباشرة إلى شعور الأنا الذات بالتمايز والتغاير عنه.

إذن ما هو ثابت وأصلي هو الهوية، "الهوية أعني الخصوصية التي تتميز بها الأمة من سواها من الأمم بمعنى أن هذه السّمات الثابتة في الشخصية الحضارية التي نسميها هوية تستعصي عن التطور والتغير حتى لو كان غزوا تعريبيا"[1]، كما إن إحساس الذات العربية بهويتها تزداد أكثر عندما تعقد مقارنة مع الآخر الغربي، إما من ناحية التضاد والاختلاف أو التوافق والتشابه لما تعاين «الذات الآخر تظهر الفوارق الخلقية والخلقية الإيديولوجية تبدأ الهوية بالتّشكل ويبرز الوعي بوجود هوية الآخر أيضا»[2].

حيث نجد أنّ الذات العربية تعترف وتؤيد صفاء ونقاء وتفوق حضارتها وهويتها وعقيدتها، المختلفة عن عادات وحضارة وفكر الآخر الغربي وبهذا يدرك ويعي بالذات والهوية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأمرين، النسب العربي وهما من أبرز عناصر الوعي بالذات، فمن خلال هذين العنصرين تتّشكل الهوية العربية، ويتم التعرف على الآخر، وبإمتلاك العربي الهوية تُمكنه من تشييد مجتمع عربي متوحد يسعى إلى تحقيق وإنجاز أشياء من بينها بناء مشروع حضاري نابع من العقل والوجدان. وفي المقابل نجد الغربي الذّي يعمل على محو هذه الهوية تارة باسم التمدن والتحضر وتارة باسم التّقدم والتّطور،

(1) محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، مرجع سابق، ص 52/ 53.

(2) سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، مرجع سابق، ص26.

أو العمل على إلحاق الأمم الأخرى بها وصولا إلى التبعية الكاملة، والعمياء، وهو يفقدها قيمتها وهويتها، أي ذوبانا وانصهارا كليّا لهوية الأنا في هوية الآخر.

2. الهوية والثقافة:

ترتبط فكرة الهوية بإحكام إلى فكرة الثقافة، والهويات. ويمكن أن تتشكل عبر الثقافات الرئيسية والثقافات الفئوية التّي ينتمي لها الأفراد أو التّي يشاركون فيها العديد من تطورات الهوية ترى العلاقة بين الثقافة والهوية تأخذ أشكالا مختلفة فالباحثون الذين تأثروا بالنّظريات الحديثة للثقافة والهوية ينظرون للهوية باعتبارها نشأت بطريقة واضحة من الإنخراط في ثقافات فئوية معينة، فمثلا النّاس الذين يعيشون في بريطانيا يحتمل أن يكون لديهم إحساس قوي بالهوية البريطانية، أما النظريات التّي تأثرت كثيرا بما بعد الحداثة فهي تميل للتّأكيد على اعتبار المسألة أكثر تعقيدا في النّظر إلى إحساس الشخص البريطاني، وتعدد الطرق التّي ينظر بها البريطانيون من أصول وأعراق مختلفة إلى موضوع الهوية البريطانية[1].

يعتقد الغزالي أنّ الحضارة الإسلامية في فنون الحياة ومجالات العمران والمغانم الجزلة التي حصّلها المسلمون من المعارف الكونية والتفوق المادي الذي أحرزوه، خلال العصور الذهبية كل ذلك ما كان ليتسنى لهم إلاّ عقب تشبعهم بالثقافة الإسلامية، وتفاعلهم مع ما فيها من إنفتاح وسماحة وأشراف وإشراق فلمّا فسدت هذه الثقافة بين أيديهم باؤوا بالفشل، والتخلف في أحوالهم جميعها[2].

والانفتاح في نظرهم ليس إلا أسلوبا ووسيلة جديدة تستخدمه القوى الكبرى، "الدول الغربية" لفرض قوتها الاستعمارية وتكريس مبادئ الاستغلال والتبعية، لكن هذا الموقف في مأزق خطير، لأن الثورة الحديثة تحاصرنا من كل جهة وتفرض نفسها علينا في مختلف مجالات الحياة فتضطر دوما إلى استخدم أدواتها، فيقود هذا التناقض الحاد إلى وجود تغيرات كبيرة في الإدراك والوعي والقدرة على

(1) مارلبس ومولیورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، الناشر دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 2010 ترجمة حاتم حميد محسن.

(2) الخنساء تومي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، دار الثقافة الجماهيرية في تشغيل هوية الشباب الجامعي، 2017/2016، ص209.

استيعاب النتائج المتمخضة، وبالتالي يقود إلى صدمات نفسية وفكرية تعجل بحصول ردات فعل عنيفة تعكس بشكل واضح "تشدد عنيف وتعصب ومواقف سلوكية غير صائبة"[1]، كما أن الوضع السياسي ،والاقتصادي ،والاجتماعي الذي تعيشه الأمة العربية اليوم مزري ومختلف خاصة في المحافل الفكرية ،ويؤدي إلى فراغا كبيرا فينعكس ذلك على شكل الإنفتاح.

وبما أنّ الإلتحاق بالمشروع الغربي والتخلي عن الهوية هو "خيانة ما في ذلك ريب لأنها ببساطة دعوة لأن تغادر الأمّة أيهابها لتسكن في إيهاب مستعار لم يقدم على مقاسها، وسوف يتبقى ثوبا مستعارا لابد في دفع ثمنه أو بالأحرى أجرته..."[2].

كما يؤدي الإنغلاق على الذات ومرئها إلى جمود وتحجر عصر بعينه وهو حكم على النفس بالموت والفناء، لأنها لا تتّقدم ولا تتّطور، لكن في الوقت نفسه "لا يمكن لهذا التقدم أن يحدث في ظل الاستسلام لثقافة غربية تعتمد في انتشارها على إفقاد أصحاب الثقافة التي تجري غزوها ثقافتهم بأيّة مزايا خاصة بهذه الثقافة بل وتعتمد على التحقير المستمر لها"[3]. لأن هؤلاء يعتبرون التمرد على الهوية الوطنية هي علامة تقدم وتطور ورقي وخروج عن قواعد اللغة العربية القومية مفخرة كبيرة بلا استحياء ليحظى ويتمتع الغربي بالتبجيل لمجرد كونه أجنبيا، لنجد أن الانفتاح الكلي أو المطلق يجعل الأمة تخسر الكثير من أصالتها وقيمتها.

أما الإنغلاق المشدد فيجعل الذات متقوقعة على نفسها فلا تتطور بل تبقي متحيزة فهو يجعل الحياة على الكرة الأرضية منعزلة عن بعضها البعض.

فالإنغلاق يؤكد الاتفاق المرجو لتحقيق الوجود الاجتماعي التّطور معا و الإنغلاق على الذات ناتج عن مصادر عديدة لعل أبرزها هزائمنا العربية المستمرة، وتجاربنا مع الاستعمار وإحتلال فلسطين

(1) مرتضى معاش، في انفتاح منقلب أم انغلاق متشدد في الانترنت ضمن شبكة النبأ https://m.annabaa.Arg. 14:00، 02-04-2022م.

(2) محمد راتب أحلاق، مرجع سابق، ص58.

(3) المرجع نفسه، ص59.

أي هو نتيجة للخوف والرعب ثمّ قد يتحول الإنفتاح ضرورة حيوية يفرضها الواقع الاجتماعي الحتمي.

ومن هنا نستنتج أن العرب يجب عليهم أن لا يتفتحوا كليا على الآخر الغربي فينسلخون عن شخصيتهم وهويتهم، ولا يغلقون كليا فيتوقعون على ذاتهم بل يأخذون كل ما ينفعهم.

حيث يأخذوا كل ما هو ايجابي مفيد يخدم مصالحهم مثل (العلوم، والفلسفة، والفلك، والطب،...) ويتركوا كلّ ما هو ضار وسلبي ويهدد مصالحهم. مثل: إتباع سياسة الإمبريالية التّي تهدف إلى سحق الهوية والشخصية الوطنية المحلية ثّم إعادة تشكيلها وتركيبها في إطار شخصية وهوية عالمية أي انصهار وذوبان ما هو خاص في ما هو عام وفي هذه الحالة يفقد المرء أو الفرد مرجعيته، ويتخلى عن إنتمائه وولائه فتصبح الأمة العربية والشعوب الأخرى تدور في فلكها. دون علمها فما تشهده اليوم سوريا، والعراق، ولبنان، ومصر، وتونس من انكسارات داخلية هي نتيجة لهذه السياسة التّي تسعى دائما إلى تشتيت وتمزيق الأنا العربي وتحويله إلى كيان ضعيف لا حول ولا قوة له، وغير متماسك قابل للهدم والسحق والمحو.

إذن فالإنفتاح هو محو وسحق للحضارة والثقافة وللمنافع والمصالح العربية الإسلامية هو ضرب للإسلام وللمسلمين، لأنه تعامل مع الحركات الغربية الناقدة والمسيئة والمشوهة للإسلام.

الفصل الأول: ثنائية الأنا والآخر

المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر.

1. مفهوم الأنا.
2. ماهية الأنا.
3. أنواع الأنا.
4. مفهوم الآخر.
5. ماهية الآخر.

المبحث الثاني: العلاقات بين الأنا والآخر.

المبحث الثالث: مواقف الأنا اتجاه الآخر.

1. موقف الإعجاب.
2. موقف التماهي بالغرب.
3. الرؤية الحضارية.
4. الرؤية السياسية والحقوقية.
5. الرؤيا العدوانية.

المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر:

من أهم الثنائيات التّي تعالجها الدراسات المعاصرة، ثنائية الأنا والآخر وهو البحث فيما يتعلق بموقف كل منهما عن الآخر، والأفكار والصور – حقيقة كانت أم خيالية – التي تتشكل في ذهنية الأنا عن الآخر أو العكس. وبناء على هذا لابد من الوقوف على مفهوم كل من (الأنا والآخر)، والبحث عن العلاقة القائمة بينهما.

1. مفهوم الأنا:

أ. لغة: الأنا "هو ضمير المتكلم الواحد وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها"[1]، بمعنى أن الأنا تعبر عن نفس واحدة.

كما جاءت كلمة "أنا" في منجد اللغة العربية والأدب والعلوم أنّها: "ضمير رفع للمتكلم والأنانة قولك أنا"[2]، بمعنى تقديس الذات وإثباته.

وأيضا نجد الأنا: "هو التعبير النحوي المتعدد في اتصاله وانفصال، الذي يؤكد الفعل الفردي للتلفظ في النص"[3].

ويرى كذلك "عبد الكريم الجبلي في كتابه (الإنسان الكامل) أن في الآية: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [سورة طه، الآية: 14]. فالأنا هنا خاصة بالذات الإلهية دون غيرها.

فمنذ بداية الإسلام جعل النّاس يعتذرون عن نسبة ضمير المتكلم إليهم (أنا)، بقولهم: "أعوذ بالله من كلمة أنا".

(1) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص449، 450.

(2) لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام، مادة (أن)، دار المشرق والمكتبة الشرقية، ط1، لبنان، 1993، ص19.

(3) عبد القادر الشاوي، الكتاب والوجود، (السيرة الذاتية في المغرب) أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000، ص 164.

فقد جاءت عدة تعريفات "للأنا" ومنها أيضا على أنّها: "اسم مكني وهو للمتكلم وحده، وإنّما بني على الفتح فرقا بينه وبين أنّ التّي هي حرف ناصب للفعل، أما الألف الأخير، إنمّا هي لبيان الحركة في الوقت"[1].

ب. اصطلاحا:

من الصعب تحديد مفهوم اصطلاحي ل: "الأنا" وذلك لاتصاله بعدة علوم إنسانية كالفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وبالتالي فكل علم يعطيه تعريفا خاصا به.

ودليل ذلك ما نجده من إختلاف في التعريفات التّي سنتطرق إليها لاحقا، "فالأنا" هي: «النفس البشرية وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية، وما تشتمل عليه من أفكار، وآمال، وطموحات... وبالتّالي فإن الذات تشكل مركز الشعور عند الإنسان»[2]. أي أنّ "الأنا" هي الذات الإنسانية.

كذلك يقول "جون بول سارتر": "الأنا هو بالفعل من الوعي، يصبح وهو أساس لذاته"[3]، بمعنى لا يمكن تصور "أنا" بدون وجود ذات والذات التّي تمثل الإنسان، أي أن "الأنا" هي تلك الذات المتفاعلة مع غيرها والعارفة بنفسها. كونها ترتبط بالإنسان، والإنسان بطبعه يحب التواصل مع غيره وبالتالي فهذه "الأنا" لها دور داخل المجتمع. مهما اختلفت هذه الأدوار والأفعال، ولذلك لا يمكن فصل "الأنا" عن أغراض الفرد البشرية.

«كما تدل لفظة "أنا" على جوهر حقيقة ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معا أو متعاقبة فهو إذن مفارق للأحاسيس والعواطف

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، د ط، 1988، ص122.

(2) سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الجديدة طباعة ونشر وتوزيع، الأردن، د ط، 2008، ص 70.

(3) جان بول سارتر، الكينونة والعدم، بحث في الانطولوجيا الفيميولوجية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 164.

والأفكار لا يتبدل بتبدلها، ولا يتغير بتغيرها "فالأنا" إذن جوهر قائم بنفسه وهو صورة لا موضوع»[1].

نستنتج ما سبق أنّ "الأنا" هي جوهر الثابت وغير متغير تنتسب إليه جميع الأقوال الشعورية والأحاسيس والعواطف فهو حقيقة ثابتة.

وأيضا نجد كلمة "الأنا" تدل على: "المدرك من حيث أن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما التركب المختلف الذي في الحدس وارتباط التصورات في الذهن و"الأنا" المتعالي هو الحقيقة الثابتة التي تعد أساسا للأحوال والمتغيرات النفسية"[2]. ومن هنا تبين لنا أنّ للأنا شرطان أساسيان تقوم عليهما الوحدة والهوية.

وكخلاصة يمكن القول إنّ "الأنا" متعددة المفاهيم بتعدد العلوم الإنسانية.

وللوقوف على تفاصيل أكثر لمفهوم "الأنا" لا بد من الوقوف على مقابلها/ مفهوم "الآخر" .

2. ماهية الأنا:

شهدت الذات الإنسانية منذ القدم اهتماما من قبل الفلاسفة اليونان، ثم حظيت بدراسات متراكمة عبر العصور وصولنا إلى العصر الحالي.

ولكن يبقى مفهوم الأنا يختلف باختلاف آراء وأفكار كل منظر من هؤلاء المنظرين، حيث تحقق هذه الذات من خلال التواصل والتداخل في علاقاتها المتشابكة مع الآخر. فطبيعة (الأنا) خبرة شعورية تتجسد فيها وظيفة توحيد أشكال وضروب نشاط الإنسان، وتشكل الذات والأفكار الواعية وغير الواعية[3].

الذات هي النفس البشرية بما تملكه، وتحمله من مميزات ومظاهر ثقافية، نفسية، إيديولوجية، وما تحويه من أفكار وطموحات وصراعات، أي أنها: «مركز الشخصية في نفس الفرد/الإنسان، فهي

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب، لبنان، بيروت، 192، د ط، ص140.

(2) المرجع نفسه، نفس الصفحة، 140.

(3) ينظر: سعد فهد الذويخ، صورة الأخر في الشعر العربي، عالم الكتب، الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008 ، ص7.

تنمو وتفصح عن قدراتها من خلال البيئة المحيطة أو الوسط الاجتماعي ويبرز الشعور بالأنا من خلال تلازم الذات مع الآخر»[1].

ومن هنا فالأنا تبرز منذ الوهلة الأولى من ثقافتها وحضارتها ولغتها وإيديولوجيتها وديانتها وبكل ما يحيط بها في الوسط الذي تعيش فيه.

فالأنا حين تدرك وتعي نفسها ومقوماتها (لغتها، وديانتها، ووطنها) تدرك الآخر مباشرة وهو الذي يختلف عنها، ولهذا لا يمكن لأي كان أن يصل معها إلى حدود الذات، أو الأنا ما لم يصل معها، وفي اللحظة نفسها إلى حدود الآخر المختلف والمتباين عنها.

وما يمكننا ذكره هو أن لفظ (الأنا) في اللغة العربية تقابلها لفظة (le moi) باللغة الفرنسية، و(Ego) باللغة الانجليزية والألمانية، وهذه الأخيرة (Ego) تدل على كلمة (ذات) في اللغة العربية.

أما العالم النفسي الشهير "فرويد" يؤكد من خلال دراساته وتجاربه على الإنسان، أنّ النفس الإنسانية أو البشرية تتألف وتتكون من الأنا (Ego) النفس الذاتية، والهو أو الهي (id) النفس البدائية والذات العليا (Super Ego) النفس اللوامة[2].

والمتمعن في مقولة "أنا أفكر إذا أنا موجود" لـ: "رونيه ديكارت" يرى بأنّ الأنا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمعرفة الجوهرية والعقل والفكر، وهي سابقة ومستقلة عن وجود العالم وعن أي وجود آخر.

إذن فالأنا يقابلها الآخر، فهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما فهما متلازمان، فالذات تحقق وجودها من خلال تواصلها مع الآخر نحو: "الذات" أو "الأنا" العربية كمثل الذات الإسلامية.

⟵ من حيث الدين واللغة والعقيدة والتفكير، "فالآخر" بالنسبة لها هو كل من يختلف عنها ... دينيا، وثقافيا...، كاليهود والملحد مثلا... فوعي النفس بذاتها يؤدي إلى تكوين الهوية التّي تختلف وتتباين وعن هوية "الآخر".

(1) سعد فهد الذويخ، المرجع السابق، ص8.

(2) محمد مصطفى زيدان، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، لبنان، ط1، 2013، ص 315.

3. أنواع الأنا:

تتعدد أنواع "الأنا" وتختلف ومن أبرزها ما جاء في كتاب "هيجل فينومينولوجيا الروح":

أ. الأنا الخالص:

وهو «الوعي البسيط بالموجب أو التساوي الذاتي الساكن الماهية الباطنة من حيث ماهية موضوعا، وذلك فالتعقل الخالص لا يكون فيه أول الأمر مضمون، لأنّ – الكون لذاته السالب، أما الإيمان فيكون له على العكس مضمون من دون تعقل. وإذ كان ذلك التعقل لا ينبثق من الوعي، بالذات فإنّ هذا الإيمان يكون له مضمونه حقا في عنصر الوعي – بالذات الخالص لكن في التفكير لا في المفاهيم في الوعي الخالص لا في الوعي غير الخالص»[1].

فهذه "الأنا" صاحبة وعي وتساوي ذاتي لا تفكير متمزق ولا متساوي.

ب. الأنا المحض:

«أما الأنا من حيث هو هذا الأنا المحض فلا يكون هنا من غير هذا الوجه، فهو في كل خُرَاجٍ آخر إنّما يكون منغمسا في حقيقة ما وفي شكل ما يمكن له أن ينسحب منه، إنه متفكّر في ذاته خارج مراسه»[2]، أي أن "الأنا" أن تكون منفتحة على غيرها، لا منغلقة على نفسها، فهي منغمسة في كل "آخر" أي ذات اتصال بالثقافات الأخرى.

ج. الأنا البسيط:

ونقصد به: «الموضوع المطلق الذي يكون مع ذلك بالنسبة إلينا أو في ذاته التوسط المطلق، وتكون له القيمومة الذاتيّة لحظة جوهريّة، وحلّ هذه الوحدة البسيطة إنّما هي نتائجُ التجربة الأولى، إذ يوضع من خلالها وعي... فلمّا كانتا في أول الأمر غير متساويتين ومتضادتين ومادام انعكاسهما في

(1) هيجل، فينومنولوجيا الروح، تر: د. ناجي المونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، نيسان (أبريل)، 2006، ص 551، 552.

(2) هيجل، فينومينولوجيا الروح، مرجع سبق ذكره، ص 532.

الوحدة لم يحصل بعد، فإنّهما تكونان كشكلين متضادين للوعي، أحدهما "الوعي" القائم بذاته... وأما الآخر فغير قائم بذاته»[1].

فهنا "الأنا" تمثل الذات البسيطة الغير متعالية وعادة ما تمثل "الخادم" لا "السيد".

والمخطط التالي يبرز أنواع الأنا التي سبق ذكرها:

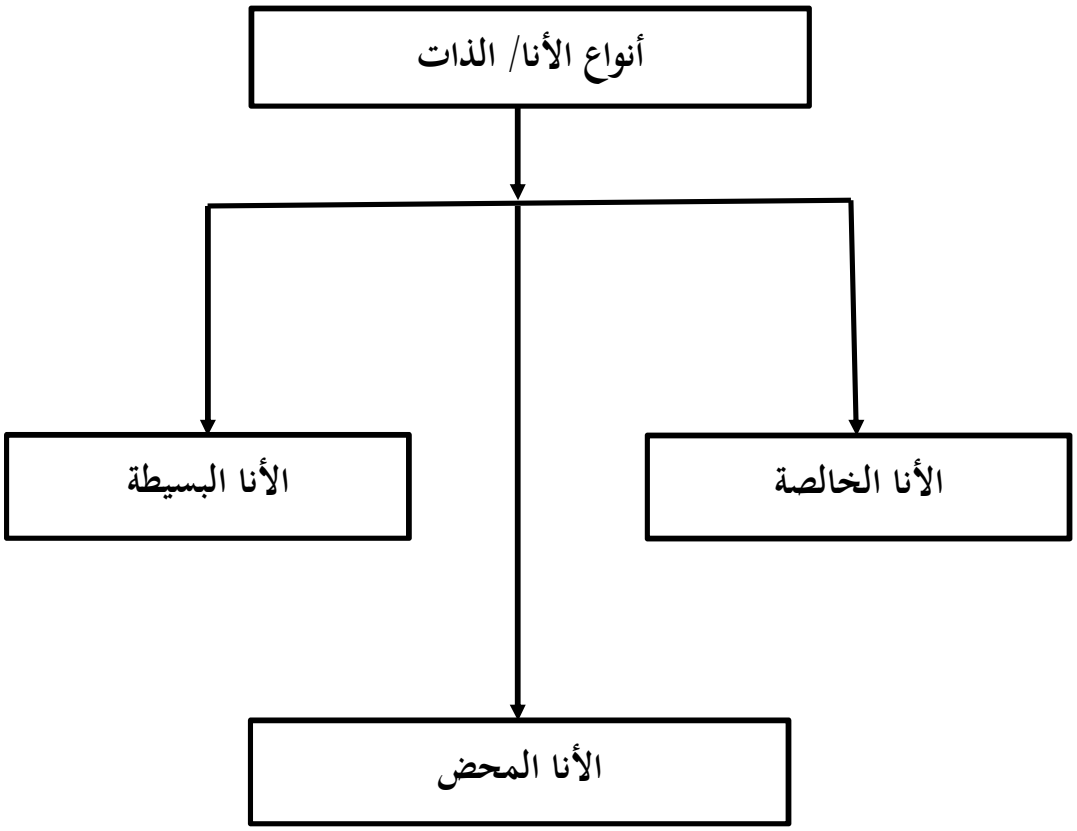

شكل رقم 01: يوضح أنواع الأنا

4. مفهوم الآخر:

أ. **لغة:** ورد في لسان العرب مفهوم الآخر أنّه: «اسم على أفعل والأنثى أخرى، إلا أنّ فيه معنى الصفة لأنّ أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة أو تصغير آخر»[2].

(1) هيجل، فينومينولوجيا الروح، مرجع سبق ذكره، ص 273.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ص 122 (سابق ذكره).

- وأيضا بتعريف آخر بأنّه هو الشخص الغريب المختلف عنا، سواء كان ينتمي إلى الرقعة أو المحيط الإجتماعي الذي نعيش فيه أو لا، فبالرغم من أنه يشترك معنا في نفس العادات والتقاليد إلى أنه يبقى دائما آخر.
- ويعرف أيضا أن الآخر والغير يحملان نفس المعاني فالغير هو الآخر الذي يعاكس الأنا.
- وقد ورد في القرآن الكريم مفردات آخر في قوله تعالى: ﴿... فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ...﴾ [سورة المائدة، الآية: 107].

ب.اصطلاحا: مصطلح الآخر مصطلح محل جدل ونقاش من طرف الكثير من المهتمين، فترى «الآخر يأتي بمعنى صفة كل ما هو غير الأنا وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة ابستيمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة أي كينونات موضوعية»[1].

- يعرف محمود رجب في كتابه "فلسفة المرآة" أنّ "الآخر" عبارة عن مقوم جوهري من مقومات الذات من حيث أنّها لا تكون كذلك، إلّا من خلال الآخر ولا تتعرف على ذاتها إلاّ عبر ذلك "الآخر"، بمعنى أنّني لكي أكون موجودا بوصفي أنا يجب فيما يقول هيبوليت[*] مؤكدا الكلمة التالية مباشرة أنّ "أجد" Trouve آخر[2].
- ويرى " فوكو"الآخر أنه «اللامفكر فيه في الفكر نفسه أو هو الهامشي الذي يستبعده المركز»[3]، حيث يقصد بهذا أن كل شخص في الوجود يجعل اهتمامه منصبا بأناه مستعبدا الآخر رغم أنه مهم.

(1) بوحلايس سلاف: صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغمارى أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، 2008-2009، ص8.

(*) جان هيبوليت: فيلسوف وجودي فرنسي، ولد في 8 يناير 1907، توفي يوم 26 أكتوبر 1968.

(2) محمد رجب، فلسفة المرآة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1994، ص2003.

(3) ميجان الرويلي، وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط3، [الرباط، المغرب/ 2002، ص 22.

- الآخر "بصفته حاكما مستبدا لدى جورج أورويل G.orweel"[1]، أي أنّ الآخر عنده هو ذلك الطرف المتحيز، المتّسلط صاحب السلطة التّي يتحكم في الغير، أما "ماركس" فهو مختلف في نظرته في مفهوم الآخر «رب العمل في رأس المال ووسيطة في الاستغلال: فائض القيمة»[2].
- يبرز مفهوم الآخر أيضا هو مفهوم مرتبط بالوجود، فالوجود من دون الآخرين هو نفسه صورة الوجود مع الآخرين، ونقصد بذلك أنّ الشعور الفردي لا ينطوي على أي انفصال عن عالم الغير وكما أنه ليس ثمة ذات دون العالم فإنه ليس ثمة ذات من دون الغير.
- يصف الطهطاوي الآخر في المرأة الإجتماعية فيظهر الآخر بأنّه بخيل محب للغرباء، ذكي نظيف، قليلة عفة النساء لديهم، أي يتميز نسائه بقلة العفة وعدم غيرة الرجال عليهن عكس ما في الإسلام وهو عارف لحقوقه ولحياته وفي للوعد، فالأنا هو الأبيض والآخر هو الأسود.
- وبتعريف آخر نجد "الآخر بصفته شرقا أو غربا، تبعا للموقع الجغرافي الذي وجد فيه صاحب المقالة وهو الآن الأكثر تداولا: آخر تغيراته الشعرية قول لجمال الدين بنو شيخ بين "آية الصلاة وشدو الحياة، كان الآخر في باكرا الحضور الغريب والأليف في آن"[3]، أي أنّ الآخر تدخل في تكونه في الحدود الجغرافية والمكان الذي يحتويه.
- والآخر هو ذلك الغريب غير المألوف أو هو غيري أي الذي يختلف عن ذاتي، "بالنسبة للذّات أو الثقافة ككل بل أيضا كلما يهدد الوحدة والصفاء، وبهذه الخصائص امتد مفهوم الغيرية" هذا إلى فضاءات مختلفة [4]. يتبين من خلال هذا القول أنّ الآخر هو الشخص غير المعروف لدى الحضارة الشرقية التّي تنظر له الأنا (الذات العربية) بأنّه صاحب العالم المتّقدم.
- يرى "جان بول سارتر" «الآخر هو الغير "أي الأنا الذي ليس هو أنا، ندرك إذن هنا سلبا من حيث هو بنية مكونة من الآخر ككائن، فالفرضية المتبقية المشتركة بين المثالية والواقعية، هي أنّ

(1) الطاهر ليب، صورة الآخر العربي ناظر ومنظورا إليه، ص100.

(2) المرجع نفسه، ص100.

(3) الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص101.

(4) ميجان الرويلي سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الرباط، المغرب، 2002، ص21

السلب المكون هو سلب خارجا في الآخر ليس أنا وأنا ليست هو"»[1]، نرى من خلال محتوى هذا القول أنّ الآخر هو الغير وليس الأنا، أي أنّ الآخر هو الغير الذي يخالف الأنا، فالآخر هو الغريب أما الأنا فهي الذات.

- والآخر هو المثقف الحضاري الذي يمتلك التجربة والسلطة وأيضا نجد أنّ الآخر بنية تساهم في مساندة الأنا من أجل إثبات وجودها. فبدون وجود الآخر لا يمكن للأنا التعرف على نفسها

5. ماهية الآخر:

إنّ الإنسان إجتماعي بطبعه، ولا يمكن أن يعيش بمنعزل عن الآخرين، لأنه يتفاعل ويتواصل ويتعامل مع الآخر ليستمر، أي لكي يتحقق (الأنا/الذات) لابد من وجود الآخر.

والمتتبع لتاريخ هذا المصطلح في الفكر الأوروبي المعاصر يجده قد بدأ مع "جاك لكان"[*] حيث تطرق إلى جدلية الذات، والموضوع، وهناك من يرجعه أي "المصطلح" إلى الفلسفة الهيجلية خاصة التحليل الذي قام به "أليكساندر كوجيف"[**] "لكتاب هيجل" (فينومينولوجيا الروح)، والذي تأثر بها "جاك لكان" تأثيرا كبيرا وبالغا، إلى جانب وجود بعض الدراسات العربية المعاصرة التّي وظفت الآخر بشكل لافت للنظر وحصر في غالب الأحيان في خطاب الاستعماري.

إن الآخر من منظور علم النفس هو مجموعة من «السلوكيات الاجتماعية، والنفسية والفكرية التي ينسبها فرد/ذات، أو جماعة ما إلى الآخرين[2]». أي أنّ الآخر هو إلّا نتيجة مجموعة من السلوكات التي تجعله يتميز بها عن غيره الأنا.

---

(1) جان بول سارتر، الكينونة والعدم (بحث الانطولوجيا الفومينولوجية) تر: نقولا ميتي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص322.

(*) جاك لكان: 1901- 1981، محلل نفسي اشتهر بقراءته التفسيرية.

(**) أليكساندر كوجيف: فيلسوف وسياسي فرنسي من أصل روسي 1902- 1962، كان له دور فعال في إنشاء الاتحاد الأوروبي. دمج الهيجلية في الفلسفة القارية.

(2) سعد فهد الذويخ، صورة الأنا والآخر في الشعر العربي، مرجع سبق ذكره، ص10.

والجدير بالذكر هنا أن الآخر هو كل من يختلف عن "الأنا"، أو الذات ثقافيا، وسياسيا، وفكريا... وقد يكون هذا "الآخر"، فردا، أو جماعة، أو شعبا كما قد يكون قريبا أو بعيدا، صديقا أو عدوا نحو:

الأنا/ العربي ⟵ الآخر/ الغربي.

الأنا/ المرأة ⟵ الآخر/ الرجل.

ولنستنتج في الأخير أن "الأنا" و"الآخر" وهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، فكل منهما يهدف إلى تحقيق وإثبات وجوده وكينونته على حساب الآخر.

المبحث الثاني: العلاقات بين الأنا والآخر:

الإنسان بطبعه كائن اجتماعي، لا يمكن أن يعيش دون علاقة تربطه بالآخر، مهما كان نوع هذه العلاقة، توافق، أو صراع، فوجود "الأنا" يقتضي وجود "الآخر" فلا توجد "أنا" بدون "أنت"، "إننا لا نستطيع بكل تأكيد أن نذكر الآخر أو نتحسس حضوره... دون أن يكون ثمة (أنا) فاعلة في توليده ومُشكلة لكيانه وقواعده الأساس"[1] فلا يستطيع واحد منهم العيش بمفرده، أي لا يمكن تصور حياة الفرد دون الآخر[2].

لذا يمكننا القول بأنّ (الأنا والآخر) في علاقة دائمة، هل يمكن العيش والاستغناء عن بعضهم البعض، برغم الصراعات التّي تحدث بينهما إلاّ أنهما دائما بحاجة لتكملة بعضهما فالعلاقة بينهما هي علاقة تعاطف وتواصل رغم الظروف التي تحدث بينهما.

"فالأنا" يجيب عليها الاندماج مع "الآخر" لتبادل بعض الأغراض، التعليمية الثقافية والحضارية.

فبالرغم من الجدل القائم بين الأنا والآخر فهذا لا يعني أن "الأنا" عربية و"الآخر" غربية، وهذا الأخير ليس بالضرورة البعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس الدائم، إذ يمكن للذات أنّ تنقسم ويحارب بعضها البعض الآخر فقد تظل العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" علاقة افتراضية غير صحيحة فقد تكون "الأنا" على حساب "الآخر" أو إلغاء "الآخر" لصالح "الأنا" «وهذه العلاقة إما على ثنائية الأشياء وعلاقة التضاد القائمة بينهما، ويستحيل الانسجام بين هذه الثنائيات مثل الحياة والموت، والخير والشر، والصواب والخطأ، والذكورة والأنوثة إلى غير ذلك من العلاقات الثنائية والضدية التي تحكم منطق الأشياء»[3]، والقول يحيلنا إلى أن هذه التناقض يستحيل دمجه ولكنه لا يلغى العلاقة القائمة بين الأنا والآخر، لأن العلاقات الإنسانية بطبيعتها قائمة على أساس التغاير لا التمازج وفقا للمصالح الذاتية، والاعتبارات الخاصة التي قد تقترب أو تبتعد من مصالح الآخرين.

(1) حاتم زيدان، العيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش، مجلة الاقر، العدد 29، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر 2017، ص 202.

(2) ينظر: فاضل أحمد العقود، جدلية الذات والآخر الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار عيداء، ط1، عمان، الأردن، 2011، ص33.

(3) ينظر: سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرجاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص9.

كما تجلت أيضا علاقة "الأنا" بـ"الآخر" في صورتين هما الحوار والصدام بمعنى أن الآخر ليس مرفوضا دائما، كما أنه لا يلقى القبول في كل الأحوال من خلال اختلافات الانتماء والدين والفكر.

بما أن هناك تفاهم وتواصل يجمع "الأنا" "بالآخر" إلا أن هذا لا يمنع من وجود صراعات بينهما، وذلك يعود إلى كون "الآخر" الغرب هو المتفوق على العالم الشرقي "الأنا"، فقد أراد "الآخر" سلب حرية الأنا وفرض هيمنته، وبالتالي أحس الأنا بالحرمان والذل فتولدت روح عدوانية تجاه "الآخر"، "فالأنا" عادة ما ترى نفسها هي الأكمل والأفضل و"الآخر" هو التناقض والخاطئ والأسوأ، وهذه النظرية العدائية أو الضدية بين "الأنا" و"الآخر" هي مصدر تعدد "الأنا" و"الآخر" في مختلف مجالات الحياة والمعرفة.

أما في الحضارة الإسلامية العربية فقد كانت العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" علاقة تواصلية قائمة على المعاملة الطيبة والجدال الحسن ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: 33، 34]، كما أن "الأنا" ضرورية لمعرفة "الآخر" فإن "الآخر" ضروري لمعرفة "أنا".

«فما معنى السوي أو الغير مضاد لمعنى الأنا إلا أنه ضروري له، لأن الإنسان لا يدرك ذاته إلا إذا تصور وجود غيره»[1]. أي أنّ وجود الغير مرتبط بوجود الأنا والعكس لأن الآخر ما يجعل من الأنا تعني أوجه الاختلاف بينهما.

والأصل في علاقة "الأنا" "بالآخر" هي علاقة صراع وتنافس لذلك كانت علاقة التكامل بينهما نادرة وقليلة، فالتكامل يكون بناء على حاجة كل طرف للآخر[2]. ومن هنا فالعلاقة بينهما لا تبنى إلا على صراع لأنها عادة ما تكون مبنية على المصلحة المشتركة.

---

(1) ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، تر: خليل أحمد خليل، الشركة العالمية، للكتاب، لبنان، ط2، 2001، ج2، ص 124.

(2) جيجخ صورية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه م. د في الآداب واللغة العربية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، بسكرة، 2015/ 2016، ص56.

فبالرغم من وجود صراع، إلا أن هناك نظرة تعاكسها وهي نظرة إعجاب لما توصل إليه الآخر من تطور، ما جعل الإنسان الشرقي يقيم علاقة معه ويستفيد منه، فهو بمثابة الشمعة التي تنير طريقه المظلمة للخروج إلى النور والنهوض من هذا التخلف الذي يعيشه.

كما نلتمس أيضا علاقة الغالب والمغلوب، "ولكن الآخر يبقى عدوانيا بدرجة اولى إذ لا توجد علاقة بالآخر إلا على قاعدة غالب ومغلوب، وبدون هذه القاعدة يضمحل الآخر ويصبح عدما. وإلا حرم نفسه من مادة غلبته"[1]. فمن الواضح أن المغلوب على امره هو الأنا (نحن) والغلبة للآخر دائما.

وبدون هذه العلاقات يصبح "الآخر" منعدما وبالتالي يحرم نفسه من صفة الغلبة والهيمنة.

تعتبر ثنائية الأنا والآخر ثنائية فاصلة بين ذاتين مغايرتين، ومن أهم أشكالها نجد: (الغرب/ الشرق)، (العداوة/الصداقة)، (الشمال/الجنوب)، (التواصل/الصراع)، (الأهلي/الأجنبي)...، وهذه الثنائيات من أهم مرتكزات العلاقة بين الأنا والآخر، حيث تتواجد بكثرة في محتوى الثقافة.

كما يرى "سارتر" بأن العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" تضل في دورة دائما من الفرار والتعقب، فرارا من الوجود في ذاته، وتعقب للوجود في ذاته ولذاته، وكل من هذين الاتجاهين في مقابل الآخر، وفي موت أحدهما ظهور للآخر، أي أن سقوط أحدهما يدفع إلى تقبل الآخر[2].

إن ثنائية "الأنا" و"الآخر"، ثنائية لا مناص منها، فهي تعشعش فينا، بكل واحد منا، ونراها في كل زاوية... وفي كل مكان بداخلنا، وبوعينا، ولا وعينا[3].

فبالرغم من أن الأنا في حاجة دائمة إلى الآخر، والآخر في حاجة دائمة إلى الأنا، "فاصامويل هاتبخون"[4] (1927/ 2008) جاء بفكرة صدام الحضارات، حيث يقول: «ومع ذلك فإن العرب

(1) الطاهر لبيب، وآخرون، صورة الآخر، ص22.

(2) المفارقة في مفهومي الأنا والآخر في الفكر الوجودي (كير كجور و"سارتر") نموذجا، [دكتور جوزفين رزق الله فرج]، مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بور سعيد، ص842.

(3) جيجخ صورية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، مصدر سبق ذكره، ص53.

(4) مستار معتمدا لصناع القرار الأمريكي والغربي في مجال العلاقات الدولية وهو صاحب فكرة صدام الحضارات المشهورة والتي أصدرها في كتاب هذا العنوان.

والصين والغربيين ليسوا جزءا من أي كيان ثقافي أشمل، إنهم أصحاب حضارات، وهكذا فإن الحضارة هي أرفع وتجمّع ثقافي للبشر، وهي أشمل مستوى للهوية الثقافية، لا يفوقه من حيث تحديده للهوية الثقافية إلا الذي يميز الإنسان عن غيره من الأنواع الأخرى، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾[سورة الإسراء، الآية: 70] ويمكن تحديدها أو تعريفها بكل العناصر الموضوعية مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات بالتمييز الذاتي"[1].

وهاتبخنون ذهب إلى هذا التصنيف بفضل دراسته لتاريخ الحضارات القديمة والحديثة، وهو الذي طبق عليها نظريته حول صدام الحضارات، كحتمية مستقبلية، بحيث ستكون الحرب العالمية القادمة إذ ما وقعت حرب عالمية جديدة، حرب بين الحضارات"، وهو يركز على فكرة الصراع بين الأنا والآخر.

وفي الأخير يمكن أن نستخلص أن مجموعة من العلاقات بين "الأنا" و"الآخر":

1. علاقة تصادم وعداوة.
2. علاقة نفعية مصلحيه لا تتعداها إلى غيرها.
3. علاقة صداقة وتسامح قائمة على الاحترام المتبادل.
4. علاقة مثاقفة إيجابية أو سلبية.

وبناء على هذه العلاقات تتبدل ومواقف "الأنا" من "الآخر"، أو العكس "الآخر" من "الأنا"[2].

(1) صامويل فيليب هاننجون، الإسلام والغرب وآفاق الصدام، تر: مجدي شرشر، مكتبة مدبولي القاهرة، مصر، ط1.

(2) صورية بوعلام، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي 2014-2015، ص21.

المبحث الثالث: مواقف الأنا اتجاه الآخر:

منذ نشأة الكون والإنسان ينتقل بحثا عن ما يسد له حاجياته، ليبدأ في التواصل والتعامل مع غيره من الأمم والشعوب الأخرى. «اتصال الشرق العربي بالغرب الاوروبي عبر ضفي المتوسط واتخذ أشكالا متعددة منها ما هو تجاري ومنها ما هو سياسي وعسكري ومنها ما هو إنساني»[1]، أي أن الفرد العربي يحتك بما جاوره من الأمم الأخرى إما عن التجارة أو المعاهدات والمواثيق والحروب.

ومن خلال هذا الاختلاط والاتصال بالآخر يُكون العربي (الأنا) مختلفة ومتنوعة منها:

1. موقف الإعجاب:

ونقصد به موقف الانبهار بالآخر، وهذا الإعجاب ما هو نتيجة إلا للتقدم الذي شهده العالم في مختلف المجالات الاقتصادية والفكرية والسياسية والاجتماعية، وهذا الإعجاب أثر على البعض سلبا وعلى البعض الآخر بالإيجاب، فالذات الواعية تعرف كيفية الاستغلال وتقبل أفكار الآخر، دون التجرّد من الأصل، «إنّ هذا الإعجاب وصل عند البعض إلى درجة تعطيل أجهزة المقاومة وفعاليات الوعي، في حين استقر عند البعض الآخر الطاقات الايجابية الكامنة عند الأمة»[2]، أي أنّ هناك ذات (الأنا) تعرف كيفية استغلال هذا الازدهار والتقدم فيما يخدم مصالحها المختلفة.

وكما يرى "جميل حمداوي" في كتابه "صورة الآخر في الخطاب الروائي العربي" بأنّ: من بين النصوص الروائية العربية الأولى التي صورت جدلية الأنا والآخر من خلال رؤية انبهارية إعجابية واستغرابية رواية رفاعة الطهطاوي[*] (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، التي تعد بمثابة رحلة يقوم بها طالب مصري إلى باريس في أواخر القرن التاسع عشر، فيصف جغرافيتها، ثم ينبهر بحضارتها، ومعارفها، وعلومها وفنونها، وانظمتها السياسية، والدستورية، والإدارية، ثم يعجب بسكانها، وأخلاقهم، ومنازلهم، وصحتهم، وتأنقهم، وعداتهم.

---

(1) ايمان الصالح :جدلية العلاقة بين الشرق وهاجس الخوف المتبادل، مقال في الأنترنيت ضمن موقع http//www.puplit. aIwot an voic.com at :2/3/2022. 17 :00:

(2) محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997، ص 34.

(*) رفاعة الطهطاوي، الإبريز في تلخيص باريز، القاهرة، مصر، ط1، 1834.

فالذات العربية مولعة بالحضارة الغربية لما تشهده هذه الأخيرة من تقدم وازدهار في شتى النواحي وخاصة الثقافية والعلمية، وانظمتها السياسية. وهذه السمات غير موجودة في البلاد العربية للأسف وهذا ما يجعل منها تحمل نظرة إعجاب تتحول إلى نظرة انبهار ثم إندهاش للآخر.

2. موقف التماهي بالغرب:

وهو الموقف الذي يدعو صراحة إلى الالتحاق بالحضارة الغربية –بصفتها حضارة كونية–، فالذين يميزون بين الشرق والغرب «يغضون البصر عن حقيقة أن الحضارة الحديثة ليست أوروبية خالصة –على الرغم من الظاهر والادعاء–بقدر ما هي إنسانية وشاملة في مداها وانتشارها بعيوبها ومحاسنها، فالحضارة الحديثة هي خلاصة تقدم وانجازات الحضارة السابقة... ويكتفي هؤلاء بدمج الحضارة الحديثة بأنها أوروبية مادية ملحدة.

يقول "سلامة موسى": «إن لفظتي الشرق والغرب لا تعنيان شيئا واضحا وإنما تعنيان غرضا ونية واضحين، وهذا الغرض وهذه النية هما خدمة المبادئ الاستعمارية عند الغربيين، والمبادئ الرجعية عند الشرقيين»، وهكذا تتحول كل دعوة إلى التميز والاختلاف والخصوصية إلى دعوة رجعية: «هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي، سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب، وفي كل ما كتبه أحاول أن أغرس في ذهن القارئ تلك النزاعات التي اتسمت بها أوروبا»[1].

فخطاب "سلامة موسى" خطاب تغريبي، إنه خطاب الغرب في الشرق، وينتج عن هذا أن الهوية كما يبلورها، تجد أساسها في المغايرة "الاختلاف عن الأصل" ومحاولة الارتباط بالغرب.

ويؤكد أيضا (سلامة موسى) هذه الدعوة مرة بعد مرة: "إذا كانت الشمس تشرق من الشرق فإن النور يأتينا من الغرب".

فهذا التيار يدعو للالتحاق بالمشروع الغربي للحضارة دون قيد أو شرط[2].

(1) محمد راتب حلاق، نحن والآخر، مرجع سابق، ص36، 37.

(2) المرجع نفسه، ص37.

3. الرؤية الحضارية:

بعد الرؤيا الانبهارية بتفوق الغرب والاعتراف بتقدمه علميا وفنيا وتقنيا في المرحلة الأولى من فترات القرن التاسع عشر ميلادي، نجد رؤية أخرى قد تشكلت روائيا وفنيا وإبداعيا في العقود الأولى من القرن العشرين، مع جيل من الكتاب الذين سافروا إلى الخارج لطلب العلم كطه حسين، وتوفيق الحكيم، ويحي حقي، وآخرين، بيد أنهم لم ينبهروا بالغرب إلى درجة السذاجة السطحية والاستغراب الخارق الفاتن، بل تنبهوا إلى أسباب تقدم الغرب ماديا، وتقنيا، وعلميا، وثقافيا، وفنيا، ولكنهم تنبهوا أيضا إلى قيمة الشرق وتمييزه عن مستوى القيم الدينية والروحية، والدفاع عن أصالته وعاداته وحضارته وشرقيته[1].

والمقصود من هذا كله أن كثير من المثقفين العرب في بداية القرن العشرين قد انبهروا أيما انبهار بحضارة الغرب، إعجابا وافتنانا وغواية فاستاقوا وراء نزواتهم الشعورية واللاشعورية، وبالتالي، كانت رؤيتهم للغرب على أنه رمز للحرية والعلم والتقدم والإشباع الغريزي لكل المكبوتات الظاهرة والدفينة، ولكنهم سرعان ما استيقظوا من سباتهم، ليتعرفوا إلى حقيقة الغرب المادي باعتباره فضاء حضاريا مخالفا عقديا وقيميا ودينيا وأخلاقيا واجتماعيا، عن الفضاء الشرقي الروحاني، وأن لكل بيئة مقوماتها الخاصة فالشرق شرق والغرب غرب وهذا ما عبرت عنه الكثير من الروايات، كرواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس، وموسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح.

فهذه الروايات تعكس لنا التعاون الحضاري بين غرب التقدم والعلم والتكنولوجيا، وشرق التخلف والجهل والخرافات والأساطير، هي نصوص روائية تندرج ضمن الرؤية الحضارية التي تصور العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب (الأنا/ الآخر).

(1) جميل حمداوي، صورة جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي ومقاربة صورولوجية، دار الريق للطبع والنشر الالكتروني، ط1، 2020، ص12.

4. الرؤية السياسية والحقوقية:

نقصد بالرؤية السياسية والحقوقية تلك النظرة المبنية على تشخيص النظام السياسي لدولة ما، وتبيان طبيعة الحكم والدستور. ورصد علاقة الحاكم بالمحكوم سياسيا، ومدنيا، وعسكريا، وحزبيا، وثقافيا وتشخيص الحالة السياسية للدولة، وتبيان وضعية هذه الحريات العامة والخاصة وحقوق الإنسان. ومن هنا فثمة مجموعة من الروايات العربية التي نظرت إلى علاقة الأنا بالغرب من زاوية سياسية، فاعتبرت الغرب مكانا للحرية الحقيقية، وفضاء للحرية الديمقراطية. وهنا حصنا حميما لحقوق الإنسان وملجأ سياسيا خيرا للاحتماء من الاستبداد الغربي، والوقاية من رعبه وقهره وعنفه وقمعه المتسلط، والهروب قسرا واضطرارا من بلدان الطغيان السياسي والجبروت السلطوي نفيا وتحررا وانعتاقا واستقرار[1].

ومن الروايات التي تحمل رؤية سياسية انتقادية تجاه هذه العلاقة الشائكة بين الشرق المتخلف سياسيا، والغرب المتقدم مدنيا وحضاريا رواية (شرق المتوسط) للكاتب العربي المعروف عبد الرحمن منيف تلك الرواية التي تصور رجب إسماعيل منبهرا بحضارة الغرب أيما انبهار، ومعجبا بمدنيته أيما إعجاب، ومفتنا بسياسته العادلة وتشبثه بالديمقراطية الحقة وحقوق الإنسان، في حين يصف دول الشرق المتوسط بالتخلف والاستبداد والبطش.

ونجد هذه الرؤية السياسية الانتقادية واضحة أيضا لدى الروائي المصري صنع الله إبراهيم في روايته (نجمة أغسطس) حيث يرصد جدلية الأنا والآخر، بالمقابلة بين الإنسان المصري والآخر الروسي، فالأول يهدده الفقر بينما يعيش الثاني في سعادة، كما يذكر الكاتب العلاقات اللامتكافئة بين مصر وروسيا وينتقد التصور الإيديولوجي الاشتراكي الزائف بنسيج حبكة غرامية بين البطل وعشيقته نانيا[2].

(1) جميل حمداوي، صورة جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي، مرجع سبق ذكره، ص20.
(2) المرجع نفسه، ص20.

5. الرؤيا العدوانية:

تستند الرؤيا العدوانية إلى اعتبار الغير أو الآخر مخالفا أو مقابلا للأنا أو الذات، وبالتالي يحاول الغير تغريب الذات وإقصائها وتهميشها، بممارسته العدوان والنبذ والحقد ضدها، فيصبح الغير هنا محميا لا يطاق، لذا تنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع الجدلي، وغالبا ما تفرز لنا هذه النظرة العدائية السلبية، حسب "هيجل" في حالة انتصار أحد منهما إلى ظهور ما يسمى بجدلية السيد والعبيد.

وعليه، لا تكون العلاقة بين الأنا والآخر دائما علاقة ايجابية قائمة على الأخوة والمحبة والصداقة، والتعايش، بل قد تكون علاقة سلبية قائمة على الكراهية والعدوان وهذا ما جسدته رواية "فدوى طوقان" (الرحلة الأصعب) التي تحمل صورة عدائية للآخر مبنية على النبذ والحقد والاحتقار والازدراء. والأنا مجسد في شخصية فلسطينية تعرضت إلى التعذيب والطرد من أرضها والآخر هو الصهيوني المستعمر، فهي تحمل فكرة سلبية للغرب[1].

(1) جميل حمداوي، صورة جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي، سبق ذكره، ص21.

والمخطط التالي يبين ومواقف الاتجاه الآخر باختصار شديد وبأكثر وضوح:

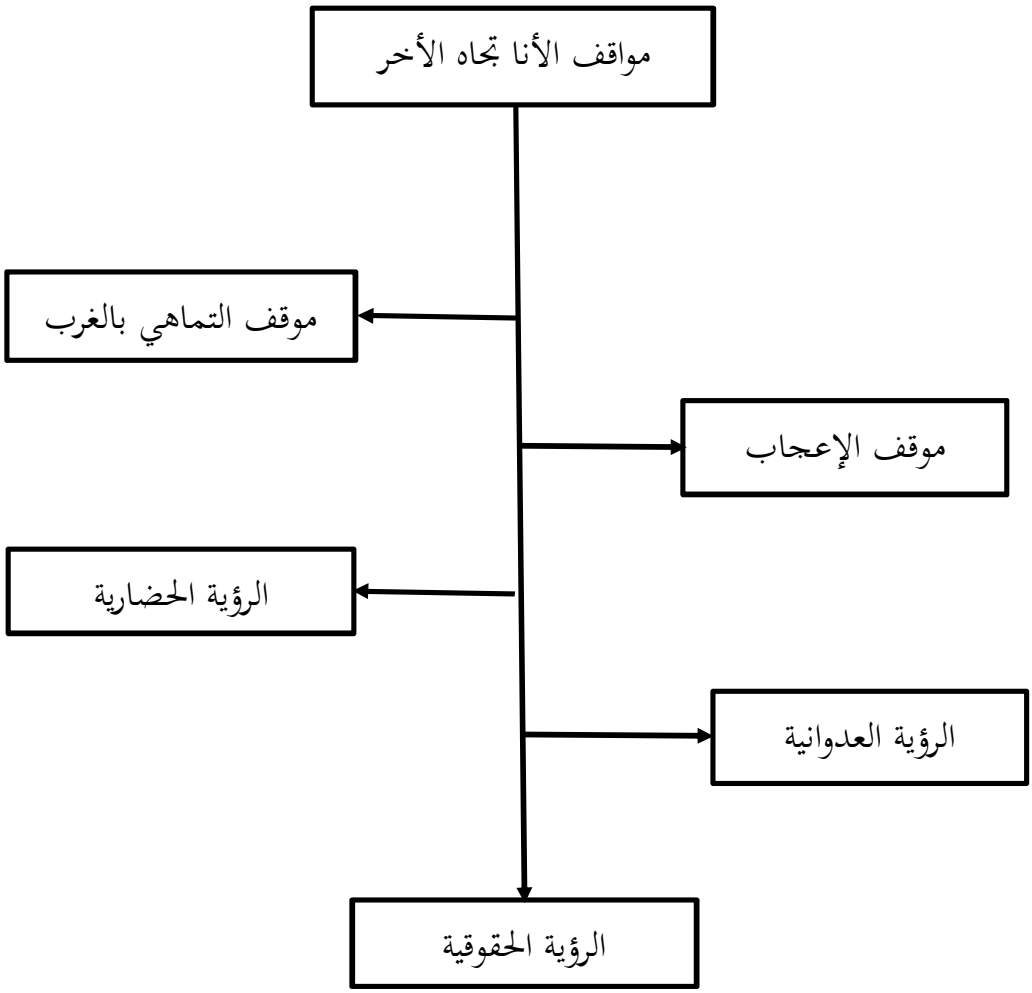

شكل رقم 02: يمثل مواقف الأنا اتجاه الآخر

ومن خلال ما تطرقنا له في هذا الفصل نجد أن للأنا والآخر عدة تعريفات، فكلما اختلف المجال تغيرت هذه الثنائية وأخذت تعريفا جديدا. وذلك راجع لاتصالها بعدة علوم، كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ...، بالإضافة إلى وجود علاقة بينهما، وهذه العلاقة ما ينتج عليها مواقف الأنا اتجاه الآخر. فمثلا علاقة الصراع بينهما تؤدي إلى موقف عدواني، وغيرها من العلاقات التي ذكرناها سابقا.

الفصل الثاني:

تمظهرات الأنا والآخر في الرواية

المبحث الأول: صورة الأنا والآخر في الرواية.

1. **الأنا والآخر من خلال الغلاف الخارجي للرواية.**
2. **صورة الأنا المتنكرة وعلاقاتها مع الآخر.**
3. **صورة الأنا المتعالية والآخر المُضطهد.**
4. **صورة الأنا والآخر عبر المكان.**
5. **الصورة الجسدية للذات العربية.**
6. **صورة التناقض بين الأنا العربية (الجزائرية) والآخر الغربي (مرسيليا).**
7. **صورة الهويّة في الرواية.**

المبحث الثاني: العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية.

المبحث الثالث: مواقف الأنا اتجاه الآخر.

1. **الرؤية الحقوقية السياسية.**
2. **الرؤية الحضارية.**

المبحث الأول: صورة الأنا والآخر في الرواية

"عند تصفحنا الرواية العربية عموما والجزائرية المكتوبة بعد الاستقلال نجدها قد استندت في نسج محتواها الخطابي على تجلي صورتي الأنا والآخر، فالأول محكوم عليه بالمعاناة والرحلة الشاقة الباحثة عن نفسها رغبة في تحريرها من الآخر"[1].

وهذا جعلنا نتطرق لدراسة هذه الظاهرة في رواية «سلالم ترولار» وبيان الكيفية التي اعتمد عليها الكاتب في توظيف هذه الظاهرة (الأنا والآخر) حيث اعتمد على رسم صورة لبعض الشخصيات المتفاعلة داخل الرواية والعلاقة القائمة بينهما.

1. الأنا والآخر من خلال الغلاف الخارجي للرواية:

صورة رقم 01 توضح الغلاف الخارجي للرواية

إنّ الغلاف عتبة أولى للولوج إلى اعماق النص، وهو أول ما يواجه القارئ قبل عملية القراءة، إذ يلفت انتبهنا في الغلاف الامامي للرواية اسم مؤلفها "سمير قسيمي" في أعلى الغلاف، ظهر باللون الأسود الذي عادة ما يرمز الى لون الليل الذي يسوده الكثير من الهدوء والسكينة او دلالة عل الحزن

(1) مكاب عبد المجيد، تجليات الآخر طيور في الظهيرة والبزاة، بحث لنيل درجة الماجستير الادب العربي، جامعة وهران، 2012- 2013، ص 101.

والألم والعتمة. يليه اسفله مباشرة عنوان الرواية بخط عريض "سلالم ترولار". على خلفية برتقالية بنفس اللون الأسود. وهذا اللون ربما يدل على الوضع السائد في البلاد في تلك الفترة.

حيث تحيلنا كلمة سلالم الى معنى الصعود والسمو والحركة نحو الأعلى، ولكنها سلالم في حالة تنكر لا تملك ما تستند إليه فمن المتعارف عليه أنّ للسلالم عكازتين ترتكز عليهم لكن "سلالم ترولار" لا تملك هذه الصفة، حيث جردت من "أل" التعريف التي تمثل العكازتين، وهذا يعطينا معنى جديد وهو عكس ما نراه في السلالم عادة حيث أصبحت ترمز إلى الأسفل وليس إلى الأعلى.

وسلالم ترولار عبارة عن سلالم توجد في أحد الأحياء الشعبية المهمشة في الجزائر، ومنه استمد "سمير قسيمي" عنوان روايته التي تبين عمق الهاوية التي سقطت فيها الجزائر.

وعنوان الرواية توجد بين حروف كلماته الأولى صورة "الذيب" وهو دلالة على السلطة الحاكمة المؤهلة التي لا يمكن المساس بها، الآلهة التي تحكم الشعب وهنا تجسدت الأنا المسيطرة، التي تطل من الفوق وهي الآلهة أو أنصاف الآلهة التي تتميز بالغدر والخداع اتجاه الشعب البسيط، الذي لا حياة له أمامهم، فهذه السلطة تأخذ صفة الآلهة التي تتحكم في عقولهم.

أمّا بالنسبة للرجل الذي يصعد سلالم ترولار السبعة والذي يمثل الآخر الفقير الذي ينتمي إلى الطبقة المنعدمة، وهو ذلك الرجل البائس الذي يصعد اتجاه الكآبة والعبث ظنا منه أن الصعوب سوف يحقق رغبته وهدفه ويوصله إلى طموحه، في تحقيق الحرية وتقرير المصير، ولكن هذا الطموح لا يتحقق لأن هناك آلهة للأسف لا تملك هذه العدالة، فالرجل هنا كان صعوده على أمل أن الآلهة عادلة كما يعرف عليها.

ونجد أيضا صورة الآخر متجسدة في الرجل النحيف الذي يركب الدراجة وهو يحمل سهما، ربما يدل هذا على أنّ الرجل المهمش الفقير له إرادة والقوة من أجل تحقيق ما يريد في حياته، فبالرغم من الضعف والتشتيت إلا أنّه يبقى متصديا لهذا الغدر والطعن الذي يواجهه من الطبقات العليا، أمّا السّهم الذي يحمله ربما دلّ إستعماله كوسيلة لتخطي العوائق التي تواجهه في حياته نتيجة السلطة الحاكمة الّتي تتدعي الألوهية. والتي تتحكم في مصير أولئك الضعفاء (الشعب) الذين تعتبرهم الآلهة

بشر بلا صوت أو حتى تنزع منه صفة البشر إن أرادت ليبقوا مجرد حيوانات يتبعون كل ما تمليه عليهم الحكومة دون مخالفة أمر لها.

كذلك تدل الدراجة على الحالة المالية لهذا الشعب الفقير الضعيف صاحب الحالة العسيرة لأنّ الأغنياء أصحاب الطبقات العليا يملكون السيارات الفخمة.

2. صورة الأنا المتنكرة وعلاقاتها مع الآخر:

جمال حميدي هو شخصية محورية في الرواية، وكان حضوره داخل النص متصلا بالفصول السبعة، فقد كان موظّف وزارة الثقافة، حيث «كان فخورا بعمله في وزارة الثقافة، فكلمّا سأله أحدهم عن وظيفته ردّ بلا تلكؤ: "موظف في وزارة الثقافة"»[1]. فهو من المواطنين بلا رأس ممن إبتركرتهم الحكومة حديثا يعني ذلك أنّه بلا تفكير وعليه فهو يمثل صورة الآخر بالنسبة للشعب البسيط، فكل من اتصل بالحكومة يصبح كائنا بشريا سوي على عكس المواطن البدائي الذّي يمثل الألفية الثانية أو كما أطلق عليه الكاتب الحيوان الطفيلي، أما الصنف الاول فقد يسمح له تاريخه في ان يصبح إله أو نصف إله، بفضل إختلاطه مع من يسمون مثقفين [لم يكن داروين(*) مخطئا في تصوره سلسلة تطوّر تتيح لحيوان طفيلي أن ينتهي إلى كائن بشري سوي مع فارق أنه في هذا المكان لم يحتج جمال حميدي إلى مليارات السنين التّي احتاجتها الخليقة ليشاهد هذا التطور فكانت تكفيه سنوات قليلة أحيانا ليرى بعينه كيف يمكن لحيوان وحيد الخلية أن يصبح كائنا بشريا، وكيف يخدمه لاحقا تاريخه الطّفيليّ، ليصبح نصف إله][2].

فالأمر هنا لا يمثل الغرب أو غيره. وإنما يمثل صورة الرجل صاحب السلطة الذي عادة ما يطلق عليه (المثقف)، والذي يمثل الطبقة الأولى والراقية وكما يطلق عليهم الكاتب فيما بعد "بأولاد العاصمة"، في حين تمثل الأنا الحياة البسيطة التي يعيشها اصحاب الألفية الثانية والألفية الثالثة، فالأنا

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، منشورات البرزخ المتوسط، الجزائر، ط1، 2019، ص 22.

(*) داروين: عالم تاريخي وجيولوجي بريطاني، ولد في 12 فبراير 1809، صاحب كتاب (أصل الأنواع)، توفي في 19 أبريل 1882

(2) سمير قسيمي، سلالم ترولار، سبق ذكره، ص 22.

والآخر تظهر في حيز المجتمع الجزائري، فهو آخر محلي من خلال نظرة السلطة أو رجالها إلى بقية الشعب الضعيف وتتجسد من خلال علاقاته المختلفة فقد تكون علاقة تصادم للمصالح وصراع وتضارب للآراء.

في حين نجده يجسد الأنا العربية، حيث مثل موقف الإعجاب كأي رجل عربي معجب بالمرأة الأجنبية التي تمثل الآخر وذلك في إعجابه بزوجته "أولغا" التي شبهها في بياض جسمها وقوته «رآها تشبه النساء الرّوسيّات في البياض وقوّة الجسم»[1]، وما هذا إلّا نتيجة لإعجابه الشديد للغرب، وخاصة النساء، ربّما هذا ناتج عن ضعف شخصي في البنية الجسدية، وكما وصفه الكاتب «أنه مجرد قزم بدين»[2]، ذو روائح غريبة تشبه رائحة الخنزير، فهنا "أولغا" تأخذ صورة الآخر المولع بها الأنا العربية، أي أنّ الآخر تمثله المرأة والأنا يمثله الرجل، داخل المجتمع الواحد.

كما نجده (جمال حميدي) في موضع آخر يتخلى عن صورة الأنا المتنكرة والمسيطرة على الشعب الضعيف، ليصبح رجل صالح يفكر في مصالح دولته، حتّى وإن ملامح جسده الخارجية تغيرت «بدا جمال حميدي مختلفا عمّا كان عليه. كان أنيقا، يتحدث بصوت هادئ. وبكلمات دقيقة تخرج من فمه المتبّسم. وكأنّها قطع شكولاتة مغموسة في العسل. ... شبّهه بالأب الحنون. ... يتحدث جمال حميدي تسع لغات حيّة وخمسا ميتة.»[3]، فالأنا المتنكرة أصبحت أنا غير متنكرة وغير متسلطة تنظر في حق الشعب المُضطهد الذي لم يكن لصوته أي اعتبار في السابق بسبب القرارات التي كانت تفرضها الآلهة والتي تعود بالنفع لمصالحها فقط، والباقي غير مهم في نظرهم، أما هذه النظرة اختلفت وأصبحت الدولة تعيش حالة عراء لنظامها السياسي الذي يجب أن يصبح عادل وهذا ما يحتاجه الشعب من أجل بناء دولة «يتمتع فيها المواطن بحقوقه جميعها»[4].

(1) قسيمي سمير، سلالم ترولار، ص 26.
(2) المصدر نفسه، ص 23.
(3) المصدر نفسه، ص 146.
(4) المصدر نفسه، ص 147.

3. صورة الأنا المتعالية والآخر المُضطهد:

عالجت الرّواية ظاهرة الأنا المتعالية وهي الأنا السامية العظيمة وأهم مميزاتّها هو الصراع المستمر مع الآخر من أجل إثبات وتحقيق كيانها، ووجودها فهي تتمتع بقدرات وإمكانيات عالية وعظيمة وهائلة تجعلها تتعالى عن واقعها الاجتماعي وهذا ما مثلته شخصية "الرجل الضئيل" الذي يعتبر رجل ينتمي إلى عالم الآلهة يساهم في صناعة الآلهة ويتحكم في الاقدار والأرزاق ،ولكنها آلهة تسكن (التحت) وليس (الفوق)، آلهة تعمل على تركيز الجهل المقدس على شعب سليل الثورة العظيمة فهي آلهة تصنع القدر الأبدي وتحقق مصالح أرباب المدينة –الدولة حيث يقول الراوي: «كان كائنا بكل ما يحمله الوصف من دقّة، لا تجد لها اللغة كلمات تحيط بها، يبعث على الرهبة والرعب أيضا، بحيث كان الواحد ما إن يدخل عليه إلا وتسري في جسمه رعشة تجعله غير قادر على الوقوف، وتشعره برغبة ملحة في التّبول»[1]، ومنه نرى بأنّ "الرجل الضئيل" تتخلله صفة القسوة وعدم الشفقة فهو المتحكم في زمام الأمور بطريقة خشنة في التعامل ومذموم السّلوك فهو رجل انتهازي غير مبالٍ بالآخرين وأكثر ما يهمه نفسه ومصالح أرباب المدينة –الدولة فالرجل الضئيل بلا قلب حيث وصل به الأمر إلى محاولة قتل من ساهم في فضيحة ابنته "أولغا" وانتزعها من أمها وهي رضيعة وسلّمها لرجل غريب "إبراهيم بافولولو" لتربيتها ونجد ذلك في قول السارد «تملكت الرجل الضئيل مع خروج إبراهيم بافولولو من مكتبه مشاعر متناقضة تماما، فقد كان سعيدا بتخلصه من ورطة كانت لتأخر طموحاته في أن يصير ما اصبح عليه الآن. والتي من أجلها شطب سابقا "الرجل ما" من سجل الوجود كما محا كل ماله علاقة في فضيحة ابنته "أميرة". ومع ذلك كان يشعر في الوقت نفسه بالحزن لتخليه عن قطعة نقدية، منحته لعقود طويلة طمأنينة، عرف أنها لن تعود إليه بعد أن تخلى عنها»[2]، فحبه للعملة النقدية جعله حزينا على فقدانها غير مكترث بابنته "أميرة".

(1) قسيمي سمير، سلالم ترولار، ص 117- 118.

(2) المصدر نفسه، ص 119.

فالرجل الضئيل هنا لا يملك أي معنى للإنسانية فقد حرم الأم من فلذة كبدها ليحافظ على أولوياته وألوهيته وسيطرته، فهو لم يحزن على ابنته بقدر ما حزن على القطعة النقدية التي كانت تمثل الدّرع الواقي له، فالقطعة النقدية ترمز للأصالة والارتباط بالتاريخ وهي رمز يتعلق بالحاضر والماضي والمستقبل، إذ لا يملك اسما ولا هوية فهو شخصية ضئيلة بكل معنى الكلمة.

في حين هناك آخر خاضع للأنا المتسلطة وهذا ما أطلقنا عليه سابقا اسم الآخر المضطهد وهو عبارة عن شخصية تمادت عليها القرارات العليا وسلبت منها حياتها الطبيعية حتّى أصبحت شخصية بلا صوت، تتحكم فيها الأنا المتعالية بفرض سيطرتها على كامل حقوقها، وهذا ما جسدته شخصية "جمال حميدي" من خلال الرواية في قوله «شعر جمال حميدي بجفاف في حلقه أو في خدر مفاجئ في لسانه، هو يحاول أن يرد عليه»[1]، فنرى في هذا القول أنّ "جمال حميدي" لا يجيد حتّى الرد عليه وهذا راجع لقبح المعاملة معه. ونجد السارد يقول «كان مستمتعا بلا شك مستلذا بعجزه وهو يشاهده يزحف على بطنه، محاولا قلب نفسه من دون جدوى، كان وهو يفعل ذلك يشبه سلحفاة قلبت على ظهرها مع فارق انه كان أكبر حجما وأكثر إضحاكا»[2]، "فالرجل الضئيل" استحقر "جمال حميدي" ولم يعره أي اهمية أثناء سقوطه بل جعل منه أضحوكة، فالبرغم من عجز "جمال حميدي" عن النهوض بسبب مرضه إلا أن هذا لن يؤثر في نفسية "الرجل الضئيل"، لما تحمله روحه من كره وبغض وتعالٍ.

4. صورة الأنا والآخر عبر المكان:

يعد الفضاء المكاني من أبرز المكونات الأساسية التي تحتويها الرّواية العربية وخاصة الرّواية الجزائرية، فهو يمثل ذلك الحيز المتواجد داخل المجتمعات والذي يعمل على ربط الصلة بين الفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه هذا المكان وهذا الأخير ما نلاحظ حضوره في رواية "سلالم ترولار" والجدول التالي يمثل ذلك:

(1) قسيمي سمير، سلالم ترولار، ص 112.

(2) المصدر نفسه، ص 149.

الأنا	الآخر
المدينة (المدينة الدولة): كانت المدينة الدولة حاضرة في كل لحظة كمكان تعيش فيه الشخصيات يوميا فالمدينة هي الوحدة المكانية لوقوع الأحداث فمثلا نجد الكائنات المقدسة وانصاف الآلهة اختارت أعالي المدينة مكانا لعيشها لقول الكاتب «هكذا نزلت تلك الكائنات المقدسة إلى الأرض واختلطت بالبشر ... تخيرت مواقعها في المدينة الدولة»[1]	**مرسيليا:** تمثلت في وصف الراوي لمدينة مرسيليا عند ذهاب الكاتب عند صديقته "فاني" وذلك في قوله: «مرسيليا تشبه العاصمة، تقول "فاني". أجيبها: تشبه وهران أيضا، ولكنهما مختلفان»[2] فمرسيليا تمثل الآخر الغربي الذي يتواجد في الجانب الآخر من البحر.
سلالم ترولار (الجزء السفلي): هي سلالم تفصل بين الحي وقصر الحكومة، تقع في حي شعبي نجد فيه أن السلم السفلي من السلالم السبعة تحتشد فيه قذارة طبقات المتدحرجة من الأعلى.	**سلالم ترولار (الجزء العلوي):** يقول الراوي «بحيث كانت التي في الأعلى أكثر نظافة من تلك التي في الأسفل، وكأنه مقدر حتى على الاشياء أن تتحمل قذارة الأعلى فقط لأن المشيئة جعلتها في الاسفل»[3]، لأن الأعلى يسكنه سادة السلطة.
المكتب: يمثل المكان المغلق لقول السارد «مكتب الرجل الضئيل مجرد غرفة داخلية، لا يمكن الولوج إليها، إلا عبر مكتب السكريتاريا، هو مكتب صغير وبلا أثاث تقريبا تتكدس عليه أكوام من الملفات الضخمة ...»[4]، وكذلك قوله «كانت عتمة يحتضنها سكون لم يقطعه إلا	البحر: يمثل المكان المفتوح فهو عبارة عن الآخر المنفتح على غيره وهو امتداد لوجدان الإنسان وحامل لأسراره.

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 33.
(2) المصدر نفسه، ص 91.
(3) المصدر نفسه، ص 156.
(4) المصدر نفسه، ص 111.

صوت تصدره آلة كتابة في آخر الرواق أين كان يتواجد الرجل الضئيل»[1]، حيث يعتبر المكتب معزول عن العالم الخارجي يسكنه الهدوء. فالمكتب يعكس شخصية ذلك الرجل الضئيل يحيك أمور خطيرة في الدولة، كل امر يعقد سرا إلا وكان مشبوها.	

5. الصورة الجسدية للذات العربية:

تتجسد الشخصية العربية التي يعلن عن حضورها "سمير قسيمي" في شكل أسماء لشخوص (جمال حميدي، وإبراهيم بافولولو، وموح بوخنونة ...) التّي تحيل إلى وعي الذات العربية في تلك الفترة الزمنية.

اعتمد البناء الفيزيولوجي للشخصية كنوع من الانتماء، وذلك أنّ الشخصية العربية المتأصلة في الكاتب تفرض عليه تمثيلها جسديا، انطلاقا من رسم الوجوه والأشكال والملامح والسمات العربية، التّي وصفت بها البلاد في ذلك الوقت، من فساد الحكم ورجاله فقد أصبحوا مواطنين بلا رأس يمثلون السلطة ولا يهتمون بحال الرعية والشعب، لذلك يقول الكاتب «ومكن الحكومة من خلق كائن مدمن على الرخاء، لم يتعب لأجله، كانت الفكرة ابتكار مواطن بلا رأس، تحتل بطنه أكبر مساحة من جسده»[2].

فللأسف هذه الذات بصفة عامة والأنا الجزائرية بصفة خاصة أصبحت تجسد الوضع المزري للمجتمع الجزائري آنذاك وبالتالي انعكس هذا الوضع على الصورة الجسدية للأشخاص فالبطون الضخمة دلالة على أكل حقوق الرعية، والأنا المتسلطة بقوة على الشعب الذي يمثل الآخر، الضعيف المسلوب حقه.

(1) قسيمي سمير، سلالم ترولار، ص 110.
(2) المصدر نفسه، ص 28.

فقد كانت هذه الشخصيات (جمال حميدي، وإبراهيم بافولولو) دلالات رمزية تحيلنا إلى الوضع الذي ذكرناه سابقا. كذلك فئة العمر هي فئة الكهولة «كان جمال حميدي في السابعة والخمسين من العمر»[1]، اي أن لهذه المرحلة دلالات رمزية تقضي إلى الإعلان عن خاصية تميز المجتمع الجزائري، وهي غلبت هذه الفئة في اغلب مناصب الشغل دون ترك المجال لفئة الشباب.

كما تأخذ العيون حيزها في التشكيل الجسدي للذات باعتبارها انتماء لجنس عرقي له خصائصه الفيزيولوجية التي تميزه عن الآخر «أنثى بيضاء بعينين زرقاوين»[2]، فزرقة العيون ميزة للجنس الغربي وكذلك بياض الجسم وهذا لاستحسان المظهر الخارجي للنساء الأجنبيات، أي ما تمثله "أولغا"، فالنظرة الموجهة إليها أنها تشبه النساء الروسيين، لكن هذا الشبه ما هو إلا نتيجة لمرض (البرص).

وايضا نجد الرجل "صاحب القمامة" الذي يمثل صورة الأنا العربي، التي تحكمها الآلهة اي السلطة الحاكمة التي لا يمكن المساس بها والتي تقرر مصير وحياة الأفراد، فـ"عصام كاشكاصي" يمثل الذات المحرومة من حقوقها مقابل السلطة الحاكمة التي تمثل الآخر المسيطر عن المجتمع العربي (الجزائري)، وبما أن الصورة الجسدية التي منحها الكاتب هي من تحدد إن كان الشخص يمثل الذات العربية أو يمثل الآخر الغربي، فنجده يقول «نحيف، أسمر، يرتدي قبعة سوداء تخفي جبينه وشيء من وجهه»[3]، فصفة اللون الأسود مستمدة من عرق جنسي عربي أصيل، إلّا أنّ هذه الذات العربية والجزائرية بصفة خاصة أصبحت متخفية وراء ثيابها نتيجة الوضع السائد.

6. صورة التناقض بين الأنا العربية (الجزائرية) والآخر الغربي (مرسيليا):

لقد تفاعلت بعض الشخصيات في الرواية لرسم صورة للذات الجزائرية وما يميزها عن الآخر الغربي في مارسيليا

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 19.
(2) المصدر نفسه، ص 36.
(3) المصدر نفسه، ص 43.

فالرسالة التي بعث بها الكاتب (شخصية) وهو في الغربة في (مارسيليا) إلى حبيبته في الجزائر، تخللتها بعض المميزات التي تجعل من الأنا الجزائرية تختلف عن الآخر المرسيلي من ناحية البنية الاجتماعية والسلوكات الأخلاقية، وغيرها، فكأنّ الكاتب يجري مقارنة بين أحد المجتمعات العربية (الجزائر) والمجتمع مارسيليا، وهذه الرسالة كانت طريقة لتوضيح هذه الاختلافات بين المجتمعات (الجزائر، مرسيليا).

فنجد "سمير قسيمي" يتحدث عن حادثة انهيار العمارة في مرسيليا ضمن حوار دار بين "فاني" و"الكاتب" ومنه يتبين الوضع السائد في المجتمع المرسيلي من مأساة حيث يقول الكاتب الخارجي: «سنتظاهر اليوم تمديدا بشلل البلدية وتقاعسها؟ تضيف "فاني" تتظاهرون؟.. تنددون؟. يا إلهي. هل تحتفظون هنا بقواميسكم بمثل هذه الكلمات؟ هناك. لا أصوات في حناجرنا. يمكن أن نصرخ. يمكن أن نتبع أيضا. ولكن بلا صوت؟.»[1].

فقد استعمل الكاتب اسم الإشارة هنا وهناك ما يقصد بالأولى الأنا الجزائرية، والآخر المرسيلي ليبين أن الآخر لديه الحرية التامة في التعبير عن رأيه، والحرية في تقرير مصيره، فلديهم الحق في التظاهر من أجل النظر في قضاياهم ومعالجة مشاكلهم ووضع حلولا لها، أي أنّ التظاهر عندهم ينتج عنه وضع حلول، فلصوت الشعب قيمة وتقديرا ومن خلاله تمنح السلطات قوانينها وبرامجها الخادمة لهذه الصعوبات.

أي أنّ المجتمع الغربي ذو سلطة عادلة تنظر في حق الشعب وتلبي مطالبه، على العكس لما يواجهه الفرد العربي (الجزائري) من صعوبات لأنه في نظر السلطة مجرد إنسان ضعيف ليس لصوته أية صدى حيث شبههم الكاتب بالكلاب التي تنبح، ومن هنا تظهر لنا بأنّ المجتمع الجزائري (الأنا) يعتمد على الطبقات الاجتماعية وهذا ما ينتج عليه نظرة سفلية ونظرة علوية، فالأولى ناتجة من السلطة إلى الشعب على أساس أن ليس للشعب أي حرية في تقرير مصيره، لأنه يقول: «يمكن أن

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 92.

نصرخ. يمكن أن ننبح أيضا. ولكن بلا صوت»[1]، فحتى وإن حدثت مظاهرات وتنديدات داخل هذا المجتمع يستحيل أن تكون لها جدوى وتبقى مظاهرات عقيمة لا يتحقق من خلالها أي هدف أو مصلحة.

فهذه الأنا تعتبر أنا مُضطهدة لا تستطيع أن تصنع أي قرار وهذا نتيجة الوضع الاجتماعي المعقد الذي باتت تزخر به الحياة الاجتماعية الجزائرية حيث قال: «لا تصنع شيئا هناك. حتّى الموت الممتع لا تحسن صناعته»[2]، بسبب القوانين التي تفرضها الآلهة المتسلطة التي عادة ما ترتبط هذه الآلهة بالسلطة وقصر الحكومة، وهذه الاخيرة (الآلهة المتسلطة) هي صاحبة النظرة العلوية التي ذكرناها سابقا أي انها تنظر لنفسها نظرة تعالي وإعتزاز بمكانتها على عكس نظرتها التحتية للشعب.

أما في قوله: «يشعرني الأشخاص اللبقون بالضجر، أميل إلى التوحش إلى البذاءة. هنا كل من ألتقي به يبادرني بالتحية صباح الخير سيدي تفضل. في خدمتك. كلّ من هنا لبق إلى حدّ القرف»[3].

فمن خلال القول يتبين لنا طبيعة السلوك المتفاوت بين هنا (الأنا)/وهناك (الآخر)، فالأنا تتميز بالتوحش والبذاءة، بالرغم من إنتمائها إلى مجتمع عربي، كما هو معروف عن المجتمعات العربية في حسن المعاملة وجمال السلوك، وبالتالي هنا إشارة إلى طبيعة العلاقة الموجودة بين أفراده (المجتمع الجزائري)، فهو مجتمع تغيب منه اللباقة وحسن المعاملة، ولأن الكاتب غير متعود على هذا الاحترام الذي يقدمه الآخر (خلف البحر) فقد شعر بالقرف من هذه المعاملة، فهناك يتعامل الأفراد بلباقة وإلقاء التحية/وحسن السلوك.

ثم ينتقل إلى رسم صورة الأنا الجزائرية دائما، من حيث شكل العمران والمباني وحالة الشارة والحكومة ورجالها لقوله: «... عمارات متسخة. وجوه متعبة غير بشوشة. صناديق قمامة ممتلئة. شوارع قذرة. أحتاج إلى أرصفة تركن عليها السيارات. رجال شرطة مجتمعين. سلطة تكذب. كما

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 92.
(2) المصدر نفسه، ص 94.
(3) المصدر نفسه، ص 98.

تأكل الخبز طوابير. متشردين. متسولين. بذاءة. حكومة مرتشية. برلمان سخيف. شوارع بلا مكتبات. مُدُن بلا قاعات سينما. بلا مسارح. رجال لا يحلمون. لا يعيشون. يبقون فقط على قيد الحياة»[1]، فالقول يحيلنا إلى الوضع المزري التي تعيشه المدينة الدولة، دولة يغيب فيها النظام لأنّ سلطتها كاذبة، رجالها فاسدين، لتصبح هناك حالات من الخيانة والغدر والرشوة وهي للأسف أكثر القيم انتشارا من تلك الفترة الزمنية التي تصف بدقة الأنا العربية (الجزائرية) وتاريخها المزري، وفي المقابل نجد الآخر الذي يترك أثر جميل في نفسية "الكاتب"، وبالتالي فالكاتب معجب بهذا الآخر من حيث تحضره وثقافته حيث يصف لنا السارد أحد الشوارع هناك: «شارع الصدقة؟ مكان مذهل ببناياته الكنسية. لا عمارات. هواء نقي. تتوزع فيها المطاعم والمقاهي»[2].

فهذا التقدم والتحضر ما جعل "الكاتب" معجب بهذا البلد كأي مواطن عربي – في العادة – فالأنا العربية دائما ما تنبهر بالحضارة الغربية، وفي نفس السياق نجده يقول: «هندستها منطقية. لا يحتاج الواحد فيها إلى خريطة ... الكم الهائل من الأجناس. مليون لغة. مليون جنسية. خليط هائل من الأعراق»[3]، فهو أيضا معجب بهذه التركيبة الاجتماعية المتكونة من مختلف الأجناس والأعراق.

وعليه فالذات العربية وبالضبط الأنا الجزائرية تحمل رؤية إعجاب بالآخر الغربي (في مرسيليا)، لأنّه حسب نظرها رمز التقدم والتحضر في مختلف المجالات الحياتية، لتبقى الذات العربية (الجزائرية) أكثر تخلف وخير دليل على ذلك قوله: «لا أعرف عِرقا بشريا يفكر بما بين ساقيه مثلما يفعل العرب»[4]، فالعربي لا يفكر في مواكبة التقدم والسير نحو التطور والازدهار، بقدر ما نجده يفكر في الأمور الرذيلة والساذجة كممارسة الجنس ومراقبة العاهرات، وهذه الأخيرة (العاهرات) تفقد قيمتها الغير موجودة في الأساس كونها تحمل اصل عربي، وهذا يتبين من خلال قوله: «أن أرخص عاهرات

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 98- 99.
(2) المصدر نفسه، ص 103.
(3) المصدر نفسه، ص 99.
(4) المصدر نفسه، ص 102.

مرسيليا من العرب؟ غريب أن تبقى قيمتها هي نفسها حتى في العمر»[1]، فيما أنّ "الكاتب" يحمل في نفسته شخصية المثقف هذا ما جعله ينفر من هذا الامر، وكونه يحمل صفات الرجل الأفضل، هذا ما زرع داخله الأنا الغيورة على الوطن أي المحبة لوطنها، وقد تجسد ذلك في قول "سمير قسيمي": «... وعلقت بأنّ لدينا أرخص عاهرات العالم. لا أدري ... لماذا غلا الدم في عروقي. وشتمتها؟!... أخذتني النخوة حتى على عاهراتنا»[2]، كما نجد نفس الموقف يتكرر في مقام آخر، حين وصف "ساحة الريفورمي" المخلدة لذكرى الضحايا الذين قتلوا في حرب الجزائر، حيث يقول: «... لا أدربي السبب الذي جعلني أكره هذا التمثال بمجرد أن وقعت عيناي على تلك اللافتة»[3]، وهذا ما يرمز إلى انتماء "الكاتب" وأصله الجزائري، لأنه وبدون معرفة السبب الذي يجعله يكره أن يرى هذا التمثال الذي يذكره في الاستعمار الفرنسي لأرض الجزائر وما نتج عنه من ظلم واستبداد فالكاتب يمثل الأنا التي تعتز بأصلها الجزائري وبثورتها المجيدة ولأبطالها العظماء.

ومنه فقد كانت الأنا الجزائرية معجبة على العموم بالآخر المرسيلي في بعض المواقف كموقف الإعجاب بالحضارة والتقدم، في حين نجد هذا الموقف يتغير إلى نظرة كره وخاصة عند المساس بمبادئ الفرد الجزائري وأصوله، بالرغم من أن هذه "الأنا" تمثلها شخصية جزائرية "الكاتب" ولما تحمله من صفات سلبية نتيجة الوضع الغريب والغير طبيعي لتصبح حالات الخيانة والغدر والبخل والشجع هي الشيء المحركة لرغبات الشخصيات المختلفة «فقد كان بشكل ما، بخيلا، حقيرا، لئيما، متهورا، منافقا، ..... إنتهازي»[4]، وكل هذه الصفات الغير حميدة ما هي إلا نتيجة لصعوبات نفسية قائمة عن الوضع الاجتماعي.

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 103.
(2) المصدر نفسه، ص 103.
(3) المصدر نفسه، ص 104.
(4) المصدر نفسه، ص 73.

7. صورة الهويّة في الرواية:

من بين القضايا التي يظل الإنسان يبحث عنها هي الهوية التي تمثل ذاته وخصوصياته التي تميزه عن غيره من المجتمعات، فكل المجتمعات تحمل بين طياتها الهوية التي تمثل الاصالة، فللمجتمع الغربي أصالته كما للمجتمع العربي أيضا هويته، إلا أنّ الهوية العربية موجودة لكنها ضائعة لما تعانيه من أزمات تاريخية كالحروب وإنكسارات اجتماعية.

فالهوية العربية لا تظهر إلا من خلال الآخر الغربي الذي يمثل الاختلاف والتباين والهوية هي الاصل والجوهر التي تتجدد ولا تتغير.

فالهوية هنا في الرواية تتجسد في قصة القطعة النقدية باعتبارها رمز يتعلق بالحاضر والماضي والمستقبل والارتباط بالتاريخ والأرض والدين، فهي تمثل الحاضر والماضي والمستقبل لأنها انتقلت من شخص إلى شخص ثاني ثم ثالث ثم رابع، من خلال الرواية فقد بدأت مع شخصية "إبراهيم بافولولو" أثناء تبنيه لـ"حورية" أو "أولغا" ثم إلى "عصام كاشكاصي"، ثم إلى "الرجل الضئيل" الذي استغنى عنها ورماها لكي تصبح بلا قيمة تتدحرج بين الأرجل وصولا إلى المصارف والمجاري المائية إلا أن تستقر بالبحر لقوله: «وألقى بها إلى الخارج... انحدرت القطعة النّقديّة مع الطريق السريع، ثم تقاذفتها الأرجل وعجلات السيارات... ومن هناك حملتها مجاري الصرف إلى البحر»[1]، وبهذه الطريقة لم يبق للهوية العربية أية قيمة بسبب الوضع الغريب للدولة.

وكما تحدثنا سابقا عن الاصالة والانتماء التي ترمز لها القطعة النقدية فهي ايضا ترمز إلى التاريخ العميق الجزائري حيث يقول السارد: «كانت تلك الذكرى مجرد قطعة نقدية من الذهب ورثها عن أبيه، بحيث صارت مع مرور الزمن كل ذكراه من حياته قبل لقائه برجال من الجانب الآخر من البحر، حيث كان مجرد رجل يحمل اسما، وليس في داخله خواء»[2]، فالقول يحيلنا إلى سبب من بين الأسباب الخطيرة التي تجعل الأنا العربية تفقد أصولها وجوهرها وهي الاختلاط بالآخر الذي يقع

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 155.

(2) المصدر نفسه، ص 121.

خلف البحر وهنا تتحدد جغرافية الأنا الجزائرية. ولا نقصد بالاختلاط اختلاط فرد واعي بل العكس لأنّ لو كان هذا الفرد واعي لما تمكن منه الآخر وسلبه جوهره، حتى يصبح اسمه بلا معنى، لأنّ هذا المعنى فقد تحت شعار التحضر وهكذا بدأت هذه الهوية بالزوال بسبب الأوضاع المزرية في البلاد (الجزائر). حيث يقول السارد: «اختلطت قصّة القطعة النقديّة بالأساطير والوهم والكذب والتزوير»[1]، فاختلاط الهوية بالكذب والتزوير بسبب الآلهة المتسلطة أو المواطنين بلا رأس الذين إبتكرتهم الحكومة أو اصحاب البطون الضخمة كما اطلق عليهم السارد في الرواية. فهم من جعلوا من هذا المجتمع فاقدا لمقوماته الأساسية ألا وهي الهويّة.

ومن هنا القطعة النقدية لا ترمز فقط للأنا الجزائرية بل تعدت هذا إلى الأنا الإفريقية، الذي يرمز لها "الرجل الزنجي" الموجودة صورته على القطعة النقدية حيث يصفه السارد: «بوجع رجل زنجي. بأنف عريض، وجبهة ضيقة»[2]، فقد منح السارد صفات فيزيولوجية تدّل على الرجل الإفريقي بصفة عامة والرجل الجزائري بصفة خاصة، والمهم هذه الأوصاف ما هي إلا أوصاف في الذات العربية (الخشونة/ سواد البشرة).

فقد حملت القطعة النقدية كل ما يتعلق بالأصالة والدين والأرض وكل في التاريخ الجزائري بصفة عامة، يقول السارد: «لأنها كانت صورته وصورة كل واحد من المدينة –الدولة»[3]، فالقطعة النقدية كانت تحمل صورة الأنا الجزائرية، وبالطبع السارد هنا لا يقصد أي قطعة نقدية بل هو يقصد القطعة النقدية التي وجدت مع تلك الفتاة غير الشرعية. التي ترمز إلى الوضع السائد في تلك الفترة الزمنية، فالقطعة النقدية رافقت هذه العلاقة غير الشرعية التي أصبحت تمثل أساس الدولة –المدينة وبالتالي هذه المرافقة غير طبيعية، وإنّما لها دلالة خفية وهي انصهار جوهر الذات الجزائرية وتخليها عن أصالتها.

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 117.
(2) المصدر نفسه، ص 162.
(3) المصدر نفسه، ص 163.

المبحث الثاني: العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية.

من غير الممكن أن نتصور إنسان يعيش دون علاقة تربطه بالآخر، فوجود الآخر "يقتضي بالضرورة موجد الأنا" فلا يستطيع الفرد أن يعيش منعزلا عن المجتمع أي لا يمكن تصور الفدر دون الآخر، وهذه العلاقة يمكن أن تكون علاقة صراع وتصادم وجدل أو علاقة تحاور وتفاهم، كما أنّه ليس بالضرورة أن تكون "الأنا" عربية و"الآخر" غربية إذ يمكن للأنا أن تنقسم فيما بينها وتصبح هناك علاقة صراع كما هو مجسد في رواية "سلالم ترولار" فبالرغم من أن الذات الجزائرية واحدة إلا أنّ هناك طبقات تحمل صورة الأنا في حين هناك أخرى تحمل صورة الآخر.

فالعلاقة هنا قائمة على الصراع والمصلحة لأنه تم إلغاء الآخر الذي يمثل الشعب الضعيف لصالح الأنا والتي تمثله السلطة المتسلطة (الآلهة/أنصاف الآلهة). أي أن العلاقة تجسدت بين السلطة والشعب لقول السارد بقول: "بفضل آلهة لم تكن في البداية تزعم أن تسيّر الرياح أو شيء من هذا القبيل، ولكنها مع ذلك كانت تتحكم في مصائر حياتهم وارزاقهم... حيث تصنعت الغباء لتوحي للأوغاد التافهين أن بمقدورهم العيش كما يشاؤون"[1]، فهذه الآلهة هي من تجعل الشعب قاصرا لا يعرف شيئا عن مصيره، فهناك علاقة تضاد تبقى قائمة بينها يستحيل الإنسجام بين هذه الثنائية (الشعب والسلطة)، كون السلطة هي التي تتحكم في منطق الاشياء على عكس الشعب الذي لا يملك أي قوة أمامها، فبالرغم من وجود هذا التناقض إلا أنه لا يلغي العلاقة القائمة بين الأنا والآخر، لأن هذه العلاقة قائمة وفق للمصالح الذاتية (مصالح الآلهة).

في حين أن هناك علاقة تعاكس الأولى وهي نظرة إعجاب للآخر وهذا ما حملته علاقة "الكاتب" مع "فاني" فلولا إعجابه بالآخر لما يجعله يقيم معه علاقة فعند ذهاب الكاتب إلى مرسيليا وإلتقائه بصديقته "فاني" التي قامت بأخذه في جولة في احياء مرسيليا، وهنا أعجب الكاتب بهذه

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 35.

الشوارع حين قال: "هندستها منطقية لا يحتاج الواحد فيها غلى خريطة"[1]. فالأنا العربية معجبة كل الإعجاب بالتقدم والتحضر الذي عرفه المجتمع الغربي في مختلف النواحي.

ونجد أيضا بعض العلاقات التي كانت نتيجة لتفاعل الشخصيات فيما بينها سواء كانت علاقة مباشرة أو غير مباشرة أو علاقة مصاحبة أو مصلحة، وهذه العلاقة ظاهرة عند كل من "جمال حميدي" و"إبراهيم بافولولو" و"الرجل الضعيف".

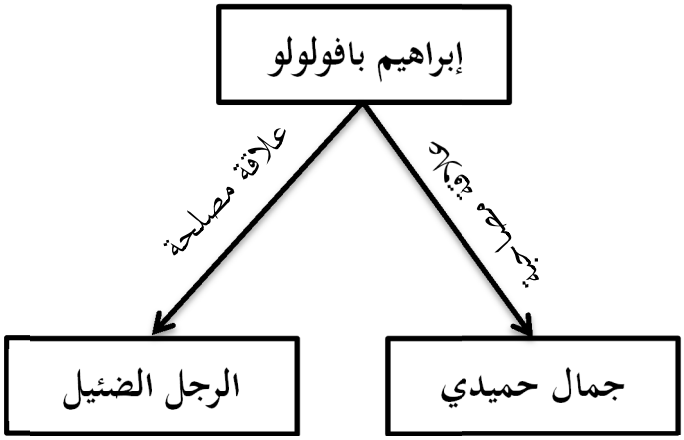

الشكل رقم 03: يوضح العلاقة بين بافولولو وجمال حميدي والرجل الضئيل

فنرى العلاقة الأولى علاقة ، أي أنّ الرجل الضئيل عند إصابته بفضيحة أميرة إبنته في إنجاب فتاة غير شرعية، أراد التخلص من هذه الفضيحة حفاظا على مكانته في المجتمع، فقام بتسليمها لإبراهيم بافولولو لقوله: «هذا المكتب خرج منه بوزن أكبر هو لرضيعة ملفوفة في قماش أزرق ولقطعة نقدية من الذهب الخالص»[2]، فبافولولو هنا قدم خدمة للرجل الضئيل حيث خلاصه من فضيحة كبيرة كانت ستؤدي بحياته المهنية إلى الإنهيار، فالرجل الضئيل هنا همه الوحيد المحافظة على رتبته كعضو في الدولة دون مراعاة أي إنسانية.

فهنا الأنا حافظت على مصلحتها على حساب الآخر، فالأب هنا (الرجل الضئيل) حافظ على مصلحته دون مراعاة مشاعر ابنته (اميرة).

(1) قسيمي سمير، سلالم ترولار، ص 99.

(2) المصدر نفسه، ص 119.

كما كانت لإبراهيم بافولولو علاقة مصاحبة مع "جمال حميدي" حيث أدت إلى النسب بينهما، فبالرغم من أن إبراهيم بافولولو لا يطيق جمال حميدي فهو كان فهو كان يحتقره كثيرا فهو شخص لا يحب المواجهة ونجد ذلك في قول السارد: «إلا أنه أبقى على بعض الود مع صهره القديم، ليس حبا فيه ولا شفقة عليه بل لأن إبراهيم بافولولو كان يعرف نفسه وأكثر ما عرفه عنها أنه رجل لم يخلق ليواجه أي شخص»[1]. فمصاحبة إبراهيم بافولولو هنا لم تكن مصاحبة حقيقية بل كانت مصاحبة تحمل علاقة مصاهرة لا أكثر. فقد كان يتحمله كونه زوج ابنته لا أكثر ولا أقل.

وعليه فإنّ العلاقة المباشرة تمثلت في المصاحبة غير المباشرة تمثلت في المصلحة ،ومن هنا تتضح صورة الأنا التّي اصبحت مهتمة بمصالحها الخاصة فحسب من أجل المحافظة على مكانتها دون مراعاة ظروف ومواقف الآخر.

ونجد أيضا العلاقة التّي تمثلها "أولغا" "حورية" اسمها الحقيقي المشتق من الحرية التي عرفتها البلاد بعد الاستقلال، ودليل ذلك قول السارد: «... في الخامس جويلية/يوليو عام ... . ميلادي ولدت ... حورية اسم الأب: مجهول/اسم الأم: مجهول»[2]. وهذا التاريخ يحيلنا إلى تاريخ استقلال الجزائر، لكن هذه الولادة حرجة لأنّ "أولغا" فتاة غير شرعية وهذا يرمز إلى علاقة الدولة غير الشرعية، التّي ترتبط بشكل كلي بذلك الوضع الغريب للدولة –المدينة التذي توجد بها علاقات غير شرعية تراكمت لتصبح هي أساس الدولة، بل وتصبح مع مرور الوقت هي القوانين والأنظمة التّي تشكل الدولة، يقول السارد: «وحدها سيكريترته المسنة كانت تعرف حقيقته، لسبب بديهيّ هو أنها ابنته تلك الفتاة الساذجة نفسها التي كادت ذات يوم بسبب تهيج هرموناتها غير المستقرة حينئذ أن تؤخر طموحات أبيها في أن يصير المهندس الأكبر، حين خلصت "الرجل ما" من عبئه، وحملته عنه تسعة أشهر، لتضطر في الأخير على التخلص منه أيضا تنفيذا لأوامر أبيها»[3]، فمن هذا القول نفهم أنّ "أولغا" مثلت الآخر المهمش الذي دائما في علاقة سلبية مع الدولة، والآخر هنا هي "أميرة" وأمثالها (الشعب

(1) قسيمي سمير، سلالم ترولار، ص 27.
(2) المصدر نفسه، ص 36.
(3) المصدر نفسه، ص 138.

البسيط) الذي لا حيلة بيده، أمّا السلطة الحاكمة "الرجل الضئيل". ومنه نرى بأنّ المدينة تحمل الكثير من علاقات الكراهية والحمق والصراع بين آلهة السلطة العليا، وهذه الأخيرة أصبحت حاجزا لتشكيل العدل والمساواة حيث كانت الخيانة والغدر هي القيم المحركة لرغباتها. فالعلاقة هنا مثلت علاقة صراع وتصادم بين الآلهة والشعب.

المبحث الثالث: مواقف الأنا اتجاه الآخر.

1. الرؤية الحقوقية السياسية:

تقوم هذه الرؤية على طبيعة الحكم والنظام السياسي لدولة ما، وهذا ما تطرقت إليه رواية "سلالم ترولار" حيث نظرت إلى علاقة الأنا بالآخر فقد تكون هذه العلاقة قائمة بين الأنا والآخر داخل المجتمع الواحد وهذا ما حسبته الرّواية بين معظم صفحاتها حيث كانت المدينة الدولة تعيش داخل دوامة يغيب فيها الأمن والاستقرار حتى بعد الاستقلال بسبب الإستبداد التي تمارسه الطبقة الحاكمة على الشعب وإنهاك حقوق الإنسان وقمع الأشخاص الداعين على الثورة ،وعلى هذا النظام السياسي الفاسد، حيث تروي لنا الرواية: «سادة يزدادون قوة وثراء وشعب يزداد ضعفا وفقرا»[1]، فقد صور الكاتب السادة على أنّها آلهة تتحكم في أرزاق البشر وتسير حياتهم كما تشاء، لأنّ هذا الشعب ضعيف وفقير وغير حر في تقرير مصيره ولتحقيق أحلامهم في أنّ «يحمل كل واحد منهم صفة مواطن»[2]، أي أنّ الشعب يريد الحرية وممارسة الديمقراطية وهذا بسبب أناس توهموا أنّهم آلهة وإنّ الشعب مجرد شيء بسيط يضحي به ليعيشوا هم (السلطة)، رغم العاهة والمرض والعقد النفسية التّي يعاني منها كل سياسي يرغب في السلطة (جمال حميدي) و(الرجل الضئيل)، ولولا هذا الشوه والمرض العقلي لما كان بمقدورهم أن يبدلوا قنعاتهم بين ليلة وضحاها، حيث اعتقدوا أنّ الفساد هو شاطرة يجازون عليها.

فالسياسي في الجزائر كما في العالم العربي هو شخص لا يكذب ،ولكنه لا يقول الحقيقة وهو أيضا كائن يبطن عكس ما يظهر، ولكنه لا يعتبر ذلك من النفاق على الاقل هذا ما يفكر فيه السياسيون الفاسدون في الجزائر.

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 85.

(2) المصدر نفسه، ص 120.

فبرغم أنّ الشعب هو صاحب كلّ السلطة والقوة إلا أنّ مناجاته تبقى بلا معنى ولا تصل إلى أيّ هدف وهذا ما تناولته الرواية في «لا أصوات في حناجرنا يمكن أن تصرخ. يمكن أن تنبح. ولكن. بلا صوت؟.»[1]، فرؤسائهم لا يبالون بهذه الأصوات ولم يهتموا بما لا يخدمهم.

فربّما الرّواية تجسد النظام السياسي فترة العهدة الرابعة «لم يعد لهذه الآلهة القابعة في أعالي المدينة أيّ إله رئيس منذ أن قتلوه حيّا، حيث أبلغهم برغبته المفاجئة في التّنحّي. كانت الفكرة أن يبقوه حيّا بالقدر الكافي الذي يسمح لهم بالبقاء. في صورة معاونين له لا اكثر، ولكنهم، في الحقيقة، كانوا يقرّرون في مصائر الناس وحياتهم. هكذا أبقوا عن جسد ربّهم حيّا، بعد أن سحبوا الروح منه. وكان يظهر للناس بوجهه الزومبي، مبتسما، رافعا يده في الهواء يحيي الجماهير، مجتمعا ببقية الآلهة وممارسا مهامه الرئاسية النبيلة»[2]، من خلال القول يتضح لنا طبيعة النظام السياسي السائد في الجزائر أثناء تلك الفترة والاستغلال ،الذي يظهر من خلال الأفعال الناتجة عن رجال السلطة المعاونين للرئيس بسبب الطمع الذي يسري في عروقهم ،ومن أجل تحقيق مصالحهم والحفاظ على بقائهم، ومن هنا يتبين لنا أنّه ليس بالضرورة أن يكون الحاكم فاسد، فيمكن للحاشية أن تغير وتزور وتبدل في قراراته وقد ساعدهم عجزه على استغلال الموقف، وبالتالي أصبحت حالات الخيانة والغدر هي القيم المحركة للأنظمة السياسية.

فهذه الأخيرة كانت تخفي عكس ما تُبدي من قرارات شملت جميع المجالات الاجتماعية والثقافية والإقتصادية، خلف أبواب ظنا منهم أنّها لا تفتح إلا بأمر منهم ولكن المشيئة عكست بعجائبية ما يريدون وكشفت ما يخفون حيث يقول الراوي: «اختنقت الابواب والنوافذ كلها»[3]، فالأبواب هنا تعدت المعنى الحقيقي بأنّها تفصل بين الداخل والخارج ما يجعل يحس الفرد بالأمان كونها حاجز تحميه من كل المخاطر ،ليجدوا أصحاب المدينة الدولة أنفسهم في واقع جديد يستحيل فيها وجود السر، لا يمكن بسبب هذه الظاهرة أن يستمر الناس في فصل ظاهرهم عن باطنهم، لتظهر

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 92.
(2) المصدر نفسه، ص 66.
(3) المصدر نفسه، ص 21.

هكذا الحقيقة مجردة من كل تجميل، وتظهر حقيقة حكام المدينة الدولة على انهّم مجرد أناس انتهازيين لا قدسية لهم إلاّ تلك التي ابتدعوها وهم يوهمون النّاس أن لولا هم لما تحرر البلد.

2. الرؤية الحضارية:

تعتبر الرؤية الحضارية اعترافا وانبهارا بتفوق الأنا على الآخر أو العكس تفوق الآخر عن الأنا في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ...الخ، وعادة ما تتشكل هذه الرؤية عند الطبقة المثقفة وخاصة طبقة الكُتاب الذين يسافرون من أجل طلب العلم أو العمل وغيرها.

لقد طرح "سمير قسيمي" في رواية "سلالم ترولار" هذه القضية حيث نجد الأنا العربية المتمثلة في الذات الجزائرية بصفة عامة وبالأخص شخصية "الكاتب" الذي يسافر إلى "مرسيليا" التي تمثل الآخر فالأنا هنا أعجبت بالآخر من عدة نواحي نذكر منها:

أ. من ناحية السلوكات:

"فالكاتب" معجب بحسن المعاملة والسلوك الطيبة والأخلاق الحميدة التي يتبادلها الافراد في مجتمع مرسيليا، لقوله: «هنا. كل من ألتقي به يبادرني بالتحية. صباح الخير. سيّدي تفضّل. في خدمتك»[1]، فحتى في السلوك يبقى المجتمع الغربي اكثر تحضرا من المجتمع الجزائري.

ب.من ناحية الهندسة والعمران:

فالتقدم والتحضر لم يخص جانبا دون آخر في المجتمع المرسيلي بل كل المجالات مواكبة للتطور وخاصة من حيث البنيان وطبيعته، لما جاء في الرواية: «هندستها منطقية. لا يحتاج الواحد فيها إلى خريطة»[2]، وتضيف الرّواية أيضا: «مكان مذهل بنياته الكنسية. لا عمارات. هواء نقي. تتوزع فيها المطاعم والمقاهي»[3]، فشوارعها هادئة منظمة لا تسودها أيّة فوضى.

(1) سمير قسيمي، سلالم ترولار، ص 98.
(2) المصدر نفسه، ص 99.
(3) المصدر نفسه، ص 100.

ج. من ناحية الأجناس واللغات:

فمن المعروف أن تنوع الأجناس والأعراق البشرية يؤدي بالضرورة إلى تعدد اللغات، وبالتالي تختلط الثقافات داخل المجتمع الواحد، وهذا ما يجعل الانا تنبهر به وبحضاراته، كما جاء في الرواية: «كل ما يحيّرني هنا، هو هذا الكم الهائل من الأجناس. مليون لغة. مليون جنسية. خليط هائل من الأعراق»[1].

وهذاما هو إلّا اعترافا من "الكاتب" لتفوق الآخر على الأنا وتقدمه حضاريا وثقافيا وعلميا.

ومنه نستنتج أنّ الأنا والآخر تجسدت في رواية "سلالم ترولار" بكثرة وعالجت العديد من الصور والرؤى ،والبعض من المواقف التّي من خلال دراستها تكشف في محتواها الكثير من الرموز والتّي شملت مجالات مرت بها الرّواية، وكذلك أنظمة إدعت نفسها هي الحاكمة الأولى المتسلطة على الوضع الجزائري.

فرّواية "سلالم ترولار" مرآة عاكسة للوضع الجزائري ، فهي نقلت كل مجالاتها الاجتماعية والسياسية وأعادت صياغتها بتراكيب مفككة.

وقد عالجت الرّواية أيضا قضايا جعلت الأنا والآخر في علاقة كشفت لنا اتأهم الصراعات القائمة بين شخصيات محورية كانت أم ثانوية، وكذلك يعدُ المكان في هذه الرواية من اكثر ما تخللها وهذا لسير كل الأحداث على مدى وشوارع وفضاءات مختلفة.

(1) قسيمي سمير، سلالم ترولار، ص 99.

الخاتمـــــة

بعد الانتهاء من البحث وغوصنا في أعماق مفاهيمه ودراسته والكثير من معطياته توصلنا إلى العديد من النتائج منها:

- تعد رواية "سلالم ترولار" صورة عاكسة للوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر فقد كتبت بأسلوب فنتازي ساخر.
- تبدو الأنا والآخر بارزة منذ الوهلة الأولى للقارئ من الغلاف الخارجي للرواية وما يحمله من رموز كالتي وجدت بين حروف عنوانها (صورة الرجل).
- رسم سمير قسيمي من روايته سلالم ترولار ثنائية الأنا والآخر فبين ضعف الأنا وذلك من خلال وصفه للشعب المضطهد. نتيجة الوضع السياسي المزري ونقاط قوة الآخر صاحب السلطة التي أطلق عليها اسم الآلهة.
- تبرز ثنائية الأنا والآخر في المتن الروائي من خلال عدة تمظهرات منها: صورة الأنا المبتكرة وعلاقاتها مع الآخر التي تمثلت في شخصية "جمال حميدي" المبتكر لأصله كونه موظف في دار الثقافة وعلاقاته المختلفة مع الآخر وهو الشعب.
- صورة الأنا المتعالية التي مثلت أهل السلطة "آلهة وأنصاف الآلهة" المسيطرة والمتعالية عن الآخر المضطهد(الشعب البسيط)
- لعبت الصورة الجسدية دورا كبيرا في التفرقة بين الأنا العربية وبين الآخر الغربي وبين الذات الجزائرية في الماضي والحاضر.
- جسدت الرواية العديد من صور التناقض بين الأنا العربية الجزائرية والآخر الغربي المرسيلي في مختلف المجالات.
- تموضعت الهوية في رواية "سلالم ترولار" بطريقة غير مباشرة، حيث كانت القطعة النقدية رمزا للأصالة والانتماء والتاريخ الجزائري بصفة عامة.

كما نلاحظ وجود علاقة تجمع بين كل من الأنا والآخر إما علاقة قائمة على الصداقة المفعمة بالمصلحة، أو الصراع بين السلطة الحاكمة والشعب البسيط.

كما استطاعت الرواية أن تجسد مواقف الأنا اتجاه الآخر فعالجت البعض من الرؤى، أهمها الحقوقية السياسية التي تناولت طبقة النظام السياسي في الجزائر، والرؤية الحضارية التي تمثلت في إعجاب وانبهار الأنا بالآخر بما حققه وما وصل إليه من تقدم وتحضر في مختلف المجالات وهذا ما جسده الكاتب عند سفره إلى مرسيليا.

نسجت لنا هذه الرواية أحداث واقعية وبعثت من خلال رسالة تكشف لنا أسرار الدولة وتعرض الواقع والعلاقات غير الشرعية التي تمارسها السلطة في تلك الفترة.

الملحـــــق

ملخص الرواية:

يصحو جمال حميدي في عالم مختلف اختفت منه الأبواب والنوافذ، عالم من الفوضى واللأمن، تظهر فيه حقيقة حكام المدينة الذين استولوا على الحكم بقوة شرعيته الثورية وسطوة المال والتحالف المخزي مع استعمار الأمس، وأمام استحالة ضمان أمنهم يفر أكثر الحكام سطوة إلى الخارج استنجادا بأولياء نعمتهم وسادتهم الحقيقيين ويستمر التابعون لهم "آلهة الدرجة الثانية" في محاولات فاشلة لاسترداد سطوتهم على البلد، إلا أنهم يدركون أن الخوف منه انحسر إلى درجة أنه ليس بمقدور أحد ضمان أمنهم فيستغيثون، أولا بالمرتزقة لحمياتهم وببواب مقعد هو "جمال حميدي"، متوهمين أنه يملك الحل لمأساتهم التي وصفها الكاتب بدقة يشمئز منها أي قارئ لتطابقها مع الواقع العفن، لكن الأمور لا تستتب، فتحاول السلطة بث الفرقة بين الشعب المتظاهر ضدها لتظهر هكذا تيارات سياسية في البداية تنهي إلى تشكيل أجنحة عسكرية "ميليشيات" وتبدأ في التقاتل، وكانت تستمر في ذلك لو لم تظهر أفكار سياسية لنخبة مثقفة تدعو إلى دولة ديمقراطية يحكمها الشعب فبمجرد ظهورها، تحالفت تلك الميليشيات المتقاتلة رغبة في السلطة ضدها وكأنها يد واحدة ضد هذه الأفكار وهي إشارة ذكية إلى قوة الكلمة والعقل، والمثقف وقدرته على بث الخوف في اكثر الأنظمة استبداد في العالم.

إلا أنّ الأمور التي تمناها الشعب لم تتحقق ليس لانّ الحكام استردوا مكانتهم بل لانّ ثمة في مكان ما من الظلمة مهندس أكبر، مهمته غلق الزعماء وقرر أن زمن الحكام الآلهة قد انتهى، ولا بد من عصر جديد يكون الحكام فيه يتبعون تلك الشعوب التي لا يعنيه فيه منها إلا سطوة حكام من طينة جمال حميدي المقعد، الغبي، المتذاكي، الجاهل، الجبان.

هنا يتهم الكاتب النخبة بالتواطؤ لتمكين الاستبداد، اتهام لم يرمز إليه بل اظهره في كل مناسبة سمحت بها الأحداث التي انتهت بجمال حميدي إلى سدة الحكم، نجد ان لقبه رجل الظلام، خالق الرؤساء أو من سماه الكاتب "الرجل الضئيل" فنون السياسة والتي عرفها الكاتب على أنها القدرة على الفصل بين الكذب وعدم قول الحقيقة وكأنهما يختلفان.

قدم سمير قسيمي في هذا العمل رائعة تجاوزت بكثير ما عرف عربيا في نوع الديتوبيا، رواية المدينة الفاسدة، تكفي فقط لعتبه الترميزية التي استعمل فيها صورة الزنجي وكيف لاحق حولها من صورة مرئية، إلى صورة نفسية في آخر العمل، لتكون هذه الرواية عمل فريدا من نوعه، يكفي أيضا ما فعله حين حول "القطعة النقدية" من مجرد شيء مادي بلا معنى، إلى أيقونة ترمز للأصالة والارتباط بالتاريخ والأرض والدين ثم إلى رمز يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل والتي من خلالها قدم صورة تاريخية ودينية تتماشى مع الوهم وكيف بمقدور الاسطورة إذ تحالفت مع مصالح البعض المادية إلى استعمال الدين سياسيا واقتصاديا لتحقيق السلطة على اختلاف انواعها، فالوهم الاستثمار فيه ليس في الغاية إلا المحور الذي دارت عليه أحداث سلا لم ترولار والتي لعبت فيها الصدفة دورا مقدسا وكأنها القدر.

قد تبدو رواية سلا لم ترولار بسبب موضوعها، مجرد منفيستوسياسي كتبه الروائي للتنفيس على القارئ، ولكنها في الحقيقة عمل سردي معقد اعتمد تقنيات سيميائية حديثة وفنيات سردية أكثر تعقيدا، ركزت في أحداثها على وصف نفس الصورة مرتين من خلال التصغير والتكبير فيظهر الفصل متبوعا بسيرة بطل من أبطال الرواية من دون الاستعانة بتعدد الرواة والإبقاء على الراوي العليم، ما أعطى سلطة أكبر للسارد لوصف أحداث وشخصيات لا يستطيع الراوي المتكلم أن يصفها بدقة، خاصة تلك التي تسبح في الزوايا رافضا كل الرفض أن يتدخل القارئ في عملية الكتابة أو التخيل، ما مكنه من وضع خاتمة استثنائية يستحيل على أي قارئ مهما بلغت قدراته أن يتوقعها، كما أنه رغم صعوبة الأمر لم يعتمد على حبكة واحدة طوال الرواية بل عدد من حبكاته مسيطر على إيقاع لم تحض فيه أي شخصية من شخوصه بدور البطل وقد كانت الرواية هي بحد ذاتها البطل ولعل هذا ما جعله يستعين بشخصية غريبة "الكاتب والرجل صاحب اسمه" كانت قدرة الكاتب في الفصل بين الصورتين رهيبة وأحيانا مربكة جدا كقدرته اللغوية في التمييز بين حالتين نفسيتين لشخصية الكاتب قبل وبعد فقده للموهبة.

فكانت لغة الرسالة التي أرسلها إلى زوجته من مرسيليا قبل ان يفقد مكنة الكتابة غير لغته بعدها، ولكنهما يتقاطعان في نقد الواقع عن اختلافه.

سلالم ترولار، منيفيستو سياسي كتبه سمير قسيمي في قالب سردي أدبي مدهش، أليس فيه الواقع القبيح فانتازيا جميلة، لم تحكي فقط قصة الجزائر، بل تعدت إلى دولة لا يحلم مواطنوها، إلا بيوم يحملون فيه صفة المواطن الإنسان.

التعريف بالروائي:

سمير قسيمي: روائي جزائري ولد عام 1974 بالجزائر العاصمة. تحصل على الليسانس في الحقوق وتخرج محاميا، حاليا يعمل كاتب عمود. صدرت له: "تصريح بضياع" (2009) وهي أول رواية جزائرية تتحدث عن السجن في الجزائر، وعنها فاز بجائزة هاشمي سعيداني للرواية عن أفضل أول رواية جزائرية. في نفس السنة صدرت روايته الثانية "يوم رائع للموت"، وهي أول رواية جزائرية تتمكن من بلوغ القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية. في عام 2010 نشر روايته الثالثة "هلابيل"، ثم "في عشق امرأة عاقر" (2011) التي اختارت مجلة بانيبال الإنجليزية فصولا منها لتنشرها مترجمة إلى الإنجليزية، وأخيرا أصدر عام 2012 روايته "الحالم" وأيضا رواية "حب في خريف مائل" (2014) "كتاب الماشاء" (2016) وروايته الأخيرة "سلالم ترولار" وهذه الأخيرة تعتبر رواية صادمة تنبأت بمستقبل يحدث الآن.

قائمة

المصادر والمراجع

المصادر:

1. القرآن الكريم برواية ورش بن نافع
2. سمير قسيمي، سلالم ترولار، منشورات البرزخ المتوسط، الجزائر، ط1، 2019.

المراجع:

1. جميل حمداوي، صورة جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي ومقاربة صورولوجية، دار الريق للطبع والنشر الالكتروني، ط1، 2020.
2. سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرجاب الحديثة، ط1، بيروت، لبنان، 1998.
3. سعد فهد الذويخ، صورة الأخر في الشعر العربي، عالم الكتب، الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008 .
4. سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي، من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الجديدة طباعة ونشر وتوزيع، الأردن، د ط، 2008.
5. الطاهر ليب، صورة الآخر العربي ناظر ومنظورا إليه.
6. عبد القادر الشاوي، الكتاب والوجود، (السيرة الذاتية في المغرب) أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000.
7. فاضل أحمد العقود، جدلية الذات والآخر الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار عيداء، ط1، عمان، الأردن، 2011.
8. محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997.
9. محمد رجب، فلسفة المرآة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1994.
10. ميجان الرويلي، وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ط3، الرباط، المغرب، 2002.

المراجع المترجمة:

1. جان بول سارتر، الكينونة والعدم (بحث الانطولوجيا الفومينولوجية) تر: نقولا ميتي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2009.
2. جون جوزيف، اللغة والهوية (قومية، إثنية، دينية)، ترجمة عبد النور خرافي، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، العدد 342، 2007.

3. صامويل فيليب هاننجون، الإسلام والغرب وآفاق الصدام، تر: مجدي شرشر، مكتبة مدبولي القاهرة، مصر، ط1.
4. هارلمبس ومولیورن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن. الناشر دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط1، 2010.
5. هيجل، فينومنولوجيا الروح، تر: د. ناجي المونلي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، نيسان (أبريل)، 2006.

المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، مج1، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، د ط، 1988.
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، تر: خليل أحمد خليل، الشركة العالمية، للكتاب، لبنان، ط2، 2001.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب، لبنان، بيروت، د ط، 1992.
4. لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام، مادة (أن)، دار المشرق والمكتبة الشرقية، ط1، لبنان، 1993.
5. محمد مصطفى زيدان، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، لبنان، ط1، 2013.
6. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

المجلات:

1. جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية دراسة في قصائد مختارة من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش، مجلة الأثر، العدد 29، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر 2017.

الأطروحات:

1. بوحلايس سلاف: صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغمارى أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، 2008-2009.

2. جوزفين رزق الله فرج، المفارقة في مفهومي الأنا والآخر في الفكر الوجودي (كير كجور و"سارتر") نموذجا، مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة بور سعيد.

3. جيجخ صورية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل. م. د. في الآداب واللغة العربية، المركز والهامش في روايات عز الدين جلاوجي، بسكرة، 2015/ 2016.

4. الخنساء تومي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، دار الثقافة الجماهيرية في تشغيل هوية الشباب الجامعي، 2017/2016.

5. صورية بوعلام، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي 2014-2015.

6. مكاب عبد المجيد، تجليات الآخر طيور في الظهيرة والبزاة، بحث لنيل درجة الماجستير الادب العربي، جامعة وهران، 2012- 2013.

المواقع الإلكترونية:

1. مرتضى معاش، في انفتاح منقلب أم انغلاق متشدد في الانترنت ضمن شبكة النبأ، 02-04-2022م. https://m.annabaa.Arg. 14:00,

2.إيمان الصالح :جدلية العلاقة بين الشرق والغرب وهاجس الخوف المتبادل مقال في الأنترنيت ضمن موقع : http//www.puplit.a Iwot an voic.com.at 2/3/2022.17:00

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة ..... أ-ج

مدخل: الهوية

الهوية 05

1. الهوية العربية 05

2. الهوية والثقافة 07

الفصل الأول: ثنائية الأنا والآخر

المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر 11

1. مفهوم الأنا 11

2. ماهية الأنا 13

3. أنواع الأنا 15

4. مفهوم الآخر 16

5. ماهية الآخر 19

المبحث الثاني: العلاقات بين الأنا والآخر 21

المبحث الثالث: مواقف الأنا اتجاه الآخر 25

1. موقف الإعجاب 25

2. موقف التماهي بالغرب 26

3. الرؤية الحضارية 27

4. الرؤية السياسية والحقوقية 28

5. الرؤيا العدوانية 29

الفصل الثاني: تمظهرات الأنا والآخر في الرواية

المبحث الأول: صورة الأنا والآخر في الرواية..... 32

1. الأنا والآخر من خلال الغلاف الخارجي للرواية 32

2. صورة الأنا المتنكرة وعلاقاتها مع الآخر..... 34

3. صورة الأنا المتعالية والآخر المُضطهد 36

4. صورة الأنا والآخر عبر المكان..... 37

5. الصورة الجسدية للذات العربية 39

6. صورة التناقض بين الأنا العربية (الجزائرية) والآخر الغربي (مرسيليا) 40

7. صورة الهويّة في الرواية 45

المبحث الثاني: العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية 47

المبحث الثالث: مواقف الأنا اتجاه الآخر..... 50

1. الرؤية الحقوقية السياسية..... 50

2. الرؤية الحضارية..... 52

الخاتمة 55

الملحق 58

قائمة المصادر والمراجع 62

فهرس المحتويات..... 66

ملخص البحث:

يهدف بحثنا إلى تسليط الضوء على ثنائية الأنا والآخر من خلال رواية "سلالم ترولار" للروائي "سمير قسيمي" وهي رواية تنّبؤية، تعيد صياغة تاريخ الجزائر السياسي، ومنه التاريخ العربي بأسلوب ساخر يستمد مادته من عوالم فانتازية تحاكي الواقع.

وقد كانت الدراسة حسب بناء هيكلي فُصل إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، بهدف الإحاطة بعدة جوانب للموضوع (ثنائية الأنا والآخر) منها: تقديم مفهوم لكل من الأنا والآخر، والعلاقة القائمة بينهما، إضافة إلى مواقف الأنا اتجاه الآخر، أما في الدراسة الإجرائية فقد قمنا باستخراج العديد من الصور التي جسدت هذه الثنائية والعلاقة الناتجة عنهما.

وهكذا كانت طريقتنا في معالجة هذا الموضوع والغوص في الرواية.

Research Summary:

This encyclopedic research aims to shed light on the duality of the ego and the other through the novel "Trollar's Ladders" by the novelist "Samir Kassimy", which is a prophetic novel that re-drafts the political history of Algeria, including Arab history in a satirical style that derives its material from fantasy worlds that mimic reality. The study was according to a structural structure separated into an introduction, two chapters and a conclusion, with the aim of encompassing several aspects of the subject (the duality of the ego and the other), including: presenting a concept for each of the ego and the other, and the relationship between them, in addition to the ego's attitudes towards the other.

As for the procedural study, we extracted many One of the images that embodied this duality and the resulting relationship.

Thus was our way of dealing with this topic and diving into the novel.